كوردستان بالعربي

(العدد 19) ربيع 2026

حيادٌ في قلب العاصفة

www.kurdistanbilarabi.com

استكشف
قلب الشرق الأوسط
المكان الذي لم تعلم انك تنتمي اليه

للمزيد
امسح هنا
VISIT
كوردستان
KURDISTAN

الافتتاحية

منذ اللحظة الأولى لاندلاع الحرب بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى، كان واضحاً أن إقليم كوردستان سيجد نفسه في قلب العاصفة، لا لأنه اختار ذلك، بل لأن موقعه السياسي والجغرافي يضعه دائماً على خطوط التماس. ومع ذلك، فإن حجم الاستهداف الذي تعرض له لم يكن متوقعاً، ولا الطريقة التي قرر بها أن يواجه بها الأحداث..

وإن ما سقط على الإقليم، خلال شهر واحد فقط، لا يقل عن 700 صاروخاً وطائرة مسيّرة، ولم تكن هذه مجرد أرقام، بل كانت رسائل ضغط متكررة، طالت أربيل بشكل رئيسي، وامتدت إلى السليمانية ودهوك وحلبجة. الكثير منها وصل إلى الأحياء السكنية ومخيمات اللاجئين ومواقع تجارية، مسبباً سقوط ضحايا مدنيين وخسائر مباشرة. ومع ذلك، ورغم هذا القصف المستمر، بقي الإقليم ثابتاً على موقفه في كونه «لن ينجر إلى أن يصبح طرفاً في هذه الحرب».

ولم يكن هذا القرار سهلاً، ولا رمزياً. فالتوازي مع الهجمات، تعرض الإقليم لضغط مركّب من بغداد؛ اقتصادياً عبر تقييد الدولار ووقف تصدير النفط، وسياسياً عبر محاولات تحميله تبعات صراع لا علاقة له به، وأمنياً عبر نشاط فصائل مسلحة تعمل خارج إطار الدولة داخل العراق. كل ذلك كان كفيلاً بدفع أي كيان إلى إعادة حساباته، لكن ما حدث كان العكس تماماً.

فقد اختارت حكومة إقليم كوردستان ورئاسة إقليم كوردستان أن تتعامل مع الأزمة بمنطق مختلف: التحييد الكامل للإقليم عن الحرب، مهما كانت التكلفة. ولم يسمح الإقليم باستخدام أراضيه لاستهداف أي دولة، ورفض انخراط أي قوى مسلحة - بما فيها التابعة للمعارضة الإيرانية - في القتال انطلاقاً من الإقليم، وذهبت أبعد من ذلك عبر تكثيف تحركاتها الدبلوماسية لتثبيت هذا الموقف دولياً.

بهذا المعنى، لم يكن الإقليم سلبياً، بل كان يمارس نوعاً من «الحياد الصلب»؛ حياد يُفرض على الأرض، لا يُعلن فقط في البيانات. وفي بيئة إقليمية تتسابق فيها بعض الأطراف لتوسيع رقعة الحرب وإدامتها، بدا هذا الخيار استثناءً لافتاً.

والنتيجة أن الإقليم، رغم كونه الأكثر تعرضاً للهجمات داخل العراق، كان - في الوقت ذاته - الأكثر وضوحاً في موقفه والأكثر تماسكاً في قراره. فلم ينجر إلى ردود فعل، ولم يسمح بتحويل أراضيه إلى ساحة تصفية حسابات، ولم يساوم على استقراره الداخلي. وفي المقابل، بدأ يحصد شيئاً آخر، ثقة دولية متزايدة، ودعماً سياسياً واضحاً، وصورة تتكرس تدريجياً كمنطقة يمكن الاعتماد عليها في بيئة مضطربة.

صحيح أن التكلفة كانت عالية؛ شهداء وجرحى، وضغط اقتصادي، وتوتر أمني دائم. لكن هذه الخسائر، في سياقها الأوسع، لم تكن نتيجة خيار الإقليم، بل نتيجة موقعه. أما خياره الحقيقي، فقد كان في كيفية التعامل مع هذه التكلفة، وهنا تحديداً برز الفارق.

بعد شهر من الحرب، يمكن القول إن إقليم كوردستان لم يخرج منتصراً بالمعنى التقليدي، لكنه نجح في ما هو أصعب؛ أن يبقى خارج الحرب وهو في قلبها. وهذا بحد ذاته ليس مجرد موقف، بل استراتيجية متكاملة، تثبت أن الاستقرار في هذه المنطقة ليس صدفة، بل قراراً. ●

الصورة: سفين حميد

الصورة: سفين حميد

الأنفال جرحٌ غائرٌ، لن يندمل

كوردستان بالعربي

(العدد 19) ربيع 2026

هيئة التحرير

الناشر
بوتان تحسين
مَريوان هَوْرامي

رئيس التحرير
رشيد صوفي

مستشار التحرير
جان دوست

نائب رئيس التحرير
هيمن بابان رحيم

مدير التحرير
مسعود لاوه

المحررون
باسل الخطيب
رياض الحمداني

التصميم والإخراج
نجم الدين بيري

محرر الصور
سفين حميد

علاقات عامة
إيمان أسعد

المترجمون
تارا محمد شريف
إسماعيل خالد گلالي

الخطاط
بژار أربيلي

كوردستان بالعربي

info@kurdistanbilarabi.com

في هذا العدد

8 القنصل المصري في أربيل: سأكون سفيراً سياحياً لكوردستان

86 التزلج في كوردستان.. رياضة تبحث عن مكانها عالمياً

94 العزلة الجبلية تصنع ملامح وراثية مميزة

طفرة نوعية في قطاع التربية بكوردستان

في خطوة تعكس التزام حكومة إقليم كوردستان بتطوير رأس المال البشري ومواكبة التطورات العالمية، شهد قطاع التربية خلال عام 2025 تحولات جذرية شملت الرقمنة الشاملة، وتحديث البنية التحتية، وتعزيز الروابط التعليمية مع الجاليات في الخارج.

يسلط هذا التقرير الضوء على أبرز الإنجازات التي حققتها وزارة التربية في التشكيلة الوزارية التاسعة، والتي تهدف إلى بناء نظام تعليمي عصري يخدم أكثر من 1.8 مليون طالب وطالبة.

التعليم في أرقام

يحتضن إقليم كوردستان حالياً 1,827,572 طالباً وطالبة، موزعين على أكثر من 7,500 مدرسة حكومية وخاصة. ومن أبرز الإنجازات الاجتماعية والتربوية لهذا العام، تمكّنت الوزارة من إعادة 8,836 طالباً إلى مقاعد الدراسة بعد تسربهم، ليصل إجمالي العائدين خلال عهد التشكيلة الحكومية التاسعة إلى 42,107 طلاب، مما يعكس فعالية خطط الحد من الأمية والتسرب الدراسي.

الصورة: سفين حميد

ثورة الرقمنة والذكاء الاصطناعي

لم يعد التحول الرقمي مجرد خيار، بل أصبح واقعاً ملموساً في مدارس إقليم كوردستان من خلال عدة مبادرات ريادية:

التقييم الإلكتروني: تطبيق ذكي يتيح لأولياء الأمور متابعة دقيقة ومباشرة لمستوى أبنائهم الدراسي، بما في ذلك الدرجات، والواجبات، وجدول الدروس الأسبوعي.

منصة «مدرستي (i-School)»: منصة تفاعلية متطورة تدعم اللغات الكوردية (بلهجتيها السورانية والبادينية) والإنجليزية، وتوظّف تقنيات الذكاء الاصطناعي لتعزيز العملية التعليمية.

السرعة والدقة: إدخال نظام الرقمنة في ترجمة الوثائق المدرسية إلى العربية والإنجليزية، حيث بات إنجاز المعاملة لا يستغرق أكثر من 6 دقائق.

المدرسة الرقمية: مشروع طموح تم إطلاقه بالتعاون مع دولة الإمارات العربية المتحدة لتعزيز التعلم عن بُعد والابتكار الرقمي.

مدارس صديقة للبيئة

شهد عام 2025 حراكاً عمرانياً واسعاً لتوسيع وتطوير المنشآت التربوية، منها:

1. الإنشاء والترميم: تم افتتاح 30 مبنى لمدارس جديدة، مع استمرار العمل في 30 أخرى تحت الإنشاء. كما تم ترميم وتجديد عشرات المباني بالتعاون مع شركاء دوليين ومحليين مثل وكالة «كويكا» (KOICA) الكورية ومؤسستي «كوردستان فاوندَيشن» و«روانگه».

2. الطاقة النظيفة: في توجه نحو الاستدامة، تم تزويد 32 مدرسة بمنظومات الطاقة الشمسية، بالتعاون مع مؤسسة «بارزاني الخيرية» ومنظمة «اليونيسيف».

3. الصفوف الذكية: تأمين 200 لوح ذكي (Smart Board) بتكلفة بلغت 430 مليون دينار، تنفيذاً لتوجيهات رئيس الحكومة مسرور بارزاني لتحديث الوسائل التعليمية.

تطوير المناهج والتميز الأكاديمي

استثمرت الوزارة في جودة المحتوى التعليمي عبر طباعة أكثر من 22 مليون كتاب مدرسي بجودة عالية للعام الدراسي 2025 - 2026. ولم يقتصر الأمر على الطباعة، بل شمل إجراء تعديلات علمية دقيقة على 22 منهجاً دراسياً لضمان مواكبتها لأحدث المعايير العلمية العالمية.

التعليم عبر الحدود: ربط المغتربين بالجذور

أولت حكومة الإقليم اهتماماً خاصاً بالجالية الكوردية في الخارج، حيث تم تأسيس مديرية التعليم في الخارج، وهناك 30 مدرسة كوردية في الخارج مسجلة حالياً تحت مظلة المشروع الوطني. ويُدار المشروع بالشراكة بين «اتحاد الجالية الكوردية في أوروبا» و«وزارة التربية في حكومة إقليم كوردستان»، وإطلاق دورات لتعليم اللغة الكوردية (أونلاين) شارك فيها 2,500 مواطن، وتم إرسال 8,500 كتاب منهجي إلى مدارس الجالية في المهجر لتعزيز الارتباط بالهوية الوطنية واللغة الأم.

بيئة مدرسية خضراء

وفي الجانب البيئي، لم يغب البعد الأخضر عن الرؤية التربوية، حيث انطلقت حملة «زراعة أشجار الزيتون» بدعم من الاتحاد الأوروبي، إلى جانب تنفيذ مشاريع صديقة للبيئة في 100 مدرسة تشمل إصلاح الحدائق وتوفير مياه الشرب النظيفة، لضمان بيئة صحية ومحفزة للإبداع.

بهذه الإنجازات المتكاملة، يضع إقليم كوردستان حجر الأساس لمستقبل تعليمي واعد، يدمج بين التكنولوجيا الحديثة والقيم التربوية الرصينة، مؤكداً أن الاستثمار في التعليم هو الطريق الأقصر نحو التنمية المستدامة. ●

القنصل المصري في أربيل:
سأكون سفيراً سياحياً لكوردستان

رياض الحمداني

صحفي ومؤلف عمل في العديد من المؤسسات الإعلامية

حين تعبر عتبة مبنى القنصلية المصرية الفخم الواقع في حي وزيران الراقي وسط مدينة أربيل، تشعر للوهلة الأولى أنك انتقلت إلى فضاء دبلوماسي من طراز رفيع؛ شدَّت بصري صورةٌ معلَّقة على جدار القاعة الكبرى، تجمع بين زعيمين راحلين خلَّدهما التاريخ: الملا مصطفى بارزاني والرئيس جمال عبد الناصر. لم تكن تلك الصورة مجرد لقطة فوتوغرافية من أرشيف الزمن الغابر، بل كانت شاهداً صامتاً على عمق العلاقات الكوردية المصرية وامتدادها عبر عقود وأجيال.

استقبلنا سعادة القنصل العام لجمهورية مصر العربية في أربيل، السفير محمود فاروق يوسف عامر، بترحاب لافت ودفء دبلوماسي حقيقي، وأدار معنا حديثاً شاملاً تطرَّق فيه إلى ملفات الاستثمار، وتفاصيل زيارة رئيس مجلس وزراء إقليم كوردستان، مسرور بارزاني، إلى القاهرة، فضلاً عن انطباعاته عن الإقليم وشعبه، وعن الإرث الكوردي العميق في الوجدان المصري.

الاستثمار المصري في كوردستان

استهل السفير محمود فاروق حديثه لمجلة «كوردستان بالعربي» بتقييم الحضور الاستثماري المصري في الإقليم، مشيراً إلى أن القطاع الخاص المصري لا يزال في مرحلته الأولى هنا، غير أن ثمة مشروعين مصريين قائمَين يمثلان نواةً حقيقية لهذا الحضور.

يتعلق المشروع الأول بقطاع المستلزمات الطبية، إذ يضم مصنعاً متخصصاً في إنتاج المحاقن الطبية والصمامات وسائر المستلزمات الصحية، ويبلغ حجم الاستثمار في هذا المشروع نحو خمسة ملايين دولار أمريكي، وهو ثمرة شراكة ثلاثية تجمع مستثمراً مصرياً مع شريكَين، أحدهما كوردي والآخر كندي.

أما المشروع الثاني، فهو مصنع للمنتجات البلاستيكية يملكه مستثمر مصري بصورة كاملة، بقيمة استثمارية تبلغ مليونَي دولار. ويغطي أسواق إقليم كوردستان والعراق بأسره، ويشمل التصدير إلى السوق السورية أيضاً.

وأوضح السفير أن المشاركة المصرية في المعارض التجارية والاقتصادية التي تُقام في أربيل تسير على نهج منتظم ومتواصل. ولعل أبرز مثال على ذلك، المشاركة الواسعة في معرض الكتاب الذي أُقيم العام الماضي، حيث مثَّل مصرَ وفدٌ كبير ضمَّ 60 داراً للنشر.

وختم السفير هذا المحور بالتأكيد على أن الإقليم بات يوفر بيئة استثمارية جاذبة، مثنياً على الجهود التي تبذلها حكومة إقليم كوردستان في هذا الاتجاه، ومعرباً عن عزم بلاده على مواصلة السعي لجذب مزيد من الاستثمارات المصرية إلى الإقليم.

الصورة: صابر چالي

زيارة مسرور بارزاني إلى القاهرة

انتقل السفير محمود فاروق إلى الحديث عن زيارة رئيس مجلس وزراء إقليم كوردستان مسرور بارزاني إلى القاهرة في العشرين من ديسمبر 2025، واصفاً إياها بأنها كانت إيجابية على نحو استثنائي.

بيد أن السفير أبى أن يختزل دلالة هذه الزيارة في تفاصيلها الراهنة، فأضاء أبعادها التاريخية العميقة قائلاً: «دعني أقول إن لهذه الزيارة مدلولاً ثقافياً وبُعداً آخر يتجاوز اللحظة الراهنة في العلاقات بين مصر وإقليم كوردستان». وتابع موضحاً أن جدَّ السيد مسرور بارزاني، الزعيم الراحل ملا مصطفى بارزاني، كان قد زار الرئيس جمال عبد الناصر في طريق عودته من الاتحاد السوفييتي، ثم جاء والده الرئيس مسعود بارزاني ليزور بدوره الرئيس حسني مبارك في قصر الاتحادية مصطحباً معه ابنه الشاب مسرور. «واليوم نشهد زيارة الحفيد وجلساته المثمرة مع فخامة الرئيس عبد الفتاح السيسي»، قال السفير، وكأنه يشير إلى حمل الزيارة الأخيرة دلالةً تاريخية على استمرارية العلاقات وتوارثها جيلاً بعد جيل.

الزعيم الراحل الملا مصطفى بارزاني لدى زيارته مصر في رحلة عودته من الاتحاد السوفييتي إلى العراق واستقباله من قبل الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر

وعلى صعيد مضمون مباحثات رئيس وزراء حكومة الإقليم في القاهرة، أفاد السفير بأن اللقاء تناول الأطر الكبرى لدعم العلاقات وتعزيزها بين القاهرة وأربيل، وفي مقدمتها الشق الاقتصادي والتجاري والثقافي. وأشار إلى أن الرئيس السيسي أبدى اطلاعاً عميقاً على تاريخ الشعب الكوردي وقضيته، مستذكراً أن مصر كانت سبَّاقةً إلى نشر أول مطبوع كوردي في التاريخ الحديث، حين أصدرت دار الهلال في القاهرة عام 1898 جريدةَ «كوردستان»، أولى الصحف الكوردية.

كذلك أكد الرئيس السيسي لبارزاني موقفَ مصر الثابت القائم على دعم وحدة العراق أرضاً وشعباً، مع الإسناد الكامل لإقليم كوردستان. وتبادل الجانبان استعراض عدد من القضايا الدولية ذات الاهتمام المشترك، كما عرض بارزاني رؤيته للأوضاع في سوريا وتركيا وإيران، في حين تحدث الرئيس السيسي، بناءً على طلب ضيفه، عن الموقف المصري من الأزمة في غزة والقضية الفلسطينية والتطورات الإقليمية الراهنة.

وأكد السفير أن الزيارة التاريخية لمسرور بارزاني إلى القاهرة تُعدُّ لبنةً جديدة في صرح العلاقات المتينة والمتجددة بين أربيل والقاهرة.

للبيشمركة تضحيات يقدِّرها العالم

لم يفُت السفير التوقف عند ملف الإرهاب الذي طال كلاً من إقليم كوردستان ومصر، إذ أشاد بالدور المحوري الذي اضطلع به الإقليم وقوات البيشمركة في التصدي لتنظيم داعش ودحره. وقال في هذا الشأن: «نحن سعداء بالدور الذي قام به إقليم كوردستان العراق، ونقدر التضحيات الجسيمة التي قدمتها قوات البيشمركة في مواجهة الإرهاب وتنظيم داعش، وهذا الموقف يثني عليه المجتمع الدولي بأسره».

وأشار السفير إلى أن مصر هي الأخرى ذاقت مرارة الإرهاب حين عانت من تنظيم الإخوان المسلمين في أعقاب

الصورة: KRG

رئيس حكومة إقليم كوردستان مسرور بارزاني لدى زيارته إلى مصر في ديسمبر الماضي واستقباله من قبل الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي

عام 2011، إلى أن أسقطت حكمهم الإرادةُ الشعبية الخالصة في ثورة الثلاثين من حزيران (يونيو) 2013، حين خرج أكثر من ثلاثين مليون مصري إلى الشوارع رافضين حكم التنظيم. ولفت إلى أن المجتمع الدولي بات شيئاً فشيئاً يُصنِّف هذا التنظيم في خانة المنظمات الإرهابية، مشيراً إلى أن الكونغرس الأمريكي والإدارة الأمريكية باتا يصنفانه تنظيماً إرهابياً يمثل خطراً حقيقياً على المجتمعات.

الكورد في مصر

وفي سياق الحديث عن الروابط المشتركة بين الشعبين، أضاء السفير صفحةً قد تغيب عن كثيرين، مؤكداً أن الكورد في مصر ليسوا مجرد جاليات عابرة، بل هم جزء أصيل من النسيج الوطني المصري، وأورد أمثلةً على ذلك، مثل الفنانة الراحلة سعاد حسني، إحدى أيقونات السينما المصرية، التي تحمل أصولاً كوردية سورية، وشاعر مصر الخالد أحمد شوقي ذو الأصل الكوردي أيضاً، فضلاً عن الشيخ سيد النقشبندي القارئ الديني الشهير. وأكد أن هذا الحضور الكوردي يتوزع على مفاصل الحياة المصرية من ثقافة وفن ودين.

«سأكون سفيراً سياحياً لكوردستان»

في الختام، تحوَّل الحديث إلى مساحة أكثر حميمية، حين سألناه عن انطباعاته الشخصية عن الإقليم وشعبه، وعمَّا سيحمله معه في ذاكرته حين تنتهي مهمته وتتجه أقدامه نحو القاهرة.

أجاب السفير محمود فاروق بعفوية لافتة: «سأكون سفيراً سياحياً لكوردستان العراق عند عودتي إلى مصر». وكشف أنه خلال نحو سنة ونصف قضاها في أربيل، لا يمر يوم إلا ويكتشف فيه جديداً، ذاكراً بإعجاب واضح مشاريع التحول الرقمي المتسارع في الإقليم، التي من أبرزها منصة «إي بسولة» (E-Psule) لدفع الفواتير إلكترونياً، ومشروع «روناكي» للكهرباء، إضافةً إلى مشاريع السدود وإدارة المياه.

وأوضح السفير أن منصة «إي بسولة» لفتت انتباه محافظ البنك المركزي العراقي الذي حضر احتفال افتتاحها، وأعلن خلال كلمته نيتَه نقل هذه التجربة الناجحة إلى بغداد، معلِّقاً: «هذا دليل على أن ما تحققه كوردستان من تجارب تنموية يعود بالنفع على العراق كله».

أما على صعيد المناطق التي زارها، فقد ذكر السفير مدينة السليمانية ومنطقة بارزان وجبل كورك، واصفاً إياها بأنها «قطع مقتطعة من سويسرا»، مبدياً إعجاباً بالغاً ببارزان على وجه التحديد. وأفاد بأن مصر تمتلك خبرات وإمكانيات قادرة على مساعدة حكومة الإقليم في تطوير البنية التحتية السياحية بما يُعظِّم العائدات المتأتية من هذا القطاع الواعد. وقال مبتسماً: «لديكم مناطق جميلة جداً، خلابة بكل معنى الكلمة، فتأكدوا أنني سأكون أفضل سفير سياحي لكوردستان العراق حين أعود إلى وطني». ●

التلاحم الكوردي في سوريا

بين الانتفاض الشعبي والتفاهم السياسي

رامي عبد الرحمن

مدير المرصد السوري
لحقوق الإنسان

شهدت الساحة الكوردية في سوريا خلال الفترة الأخيرة حالة لافتة من التلاحم السياسي والشعبي، عقب سلسلة من الأحداث التي أعادت ترتيب الأولويات الكوردية داخلياً وإقليمياً. وقد ترافقت التحركات الميدانية في المناطق ذات الغالبية الكوردية مع موجة تضامن واسعة من القوى الكوردية في الخارج، إضافة إلى مؤشرات تقارب بين الأطراف السياسية الكوردية، بالتوازي مع انفتاح حذر على الحكومة السورية الانتقالية.

خلفية الأحداث وتحول المزاج الكوردي

تبلورت الحالة الكوردية الراهنة عقب التطورات التي شهدها حيًا الشيخ مقصود والأشرفية في حلب منذ 22 كانون الأول / ديسمبر 2025، والتي شكلت صدمة جامعة أعادت توحيد جذور الجرح الكوردي في سوريا. وجاء ذلك في سياق ما اعتبر خرقاً لاتفاق الأول من نيسان / أبريل 2025 بين الحكومة الانتقالية وقوات سوريا الديمقراطية.

وقد أفضت هذه التطورات إلى حالة اصطفاف كوردي داخلي وإقليمي وخارجي، رفعت خلالها شعارات تدعو إلى «الكف عن أذية الكورد ومحاولات الإبادة». ورغم قساوة المشهد، برزت هذه اللحظة بوصفها نقطة ضغط دفعت مختلف الأطراف الكوردية إلى تجاوز الخلافات الثانوية والالتقاء حول جوهر القضية الكوردية.

من مكافحة الإرهاب إلى حماية المناطق

في مساندة بارزة، شهد دور قوات سوريا الديمقراطية «قسد» خلال المرحلة الأخيرة تحولاً لافتاً في طبيعة أولوياتها الميدانية والسياسية. فبعد سنوات تصدرت فيها القوات مشهد الحرب على تنظيم «داعش»، برز في الآونة الأخيرة تركيز أوضح على مهمة حماية المناطق ذات الغالبية الكوردية ومنع المساس باستقرارها.

هذا التحول لا يعني تراجع وظيفة مكافحة الإرهاب، بقدر ما يعكس إعادة تموضع فرضتها تطورات المشهد السوري وتعاظم المخاوف الأمنية لدى الكورد. فقد كثفت القوات انتشارها الدفاعي، ورفعت مستوى الجاهزية في نقاط حساسة، في رسالة مفادها أن أمن المناطق الكوردية

بات أولوية مباشرة.

وجاء الانسحاب الأخير من الرقة ودير الزور والطبقة والشدادي في إطار إعادة انتشار مدروسة، وليس بوصفه خسارة ميدانية، وقد أفضت هذه الخطوة عملياً إلى اتفاق 29 يناير وأسهم في إعادة تنظيم خطوط التماس وترتيب الأولويات الدفاعية.

كما تبنت قيادة القوات خطاباً أكثر وضوحاً بشأن «عدم السماح بالمساس بالمناطق الكوردية»، وهو ما انعكس ميدانياً في سرعة الاستجابة للتوترات ومحاولات احتواء أي تصعيد محتمل، مع منح الحراك السياسي والمدني هامش حركة أوسع.

دور قيادات إقليم كوردستان

لعب الرئيس مسعود بارزاني، إلى جانب رئيس الإقليم نيجيرفان بارزاني ورئيس الحكومة مسرور بارزاني، دوراً

الصورة: سفين حميد

الصورة: إعلام مقر بارزاني

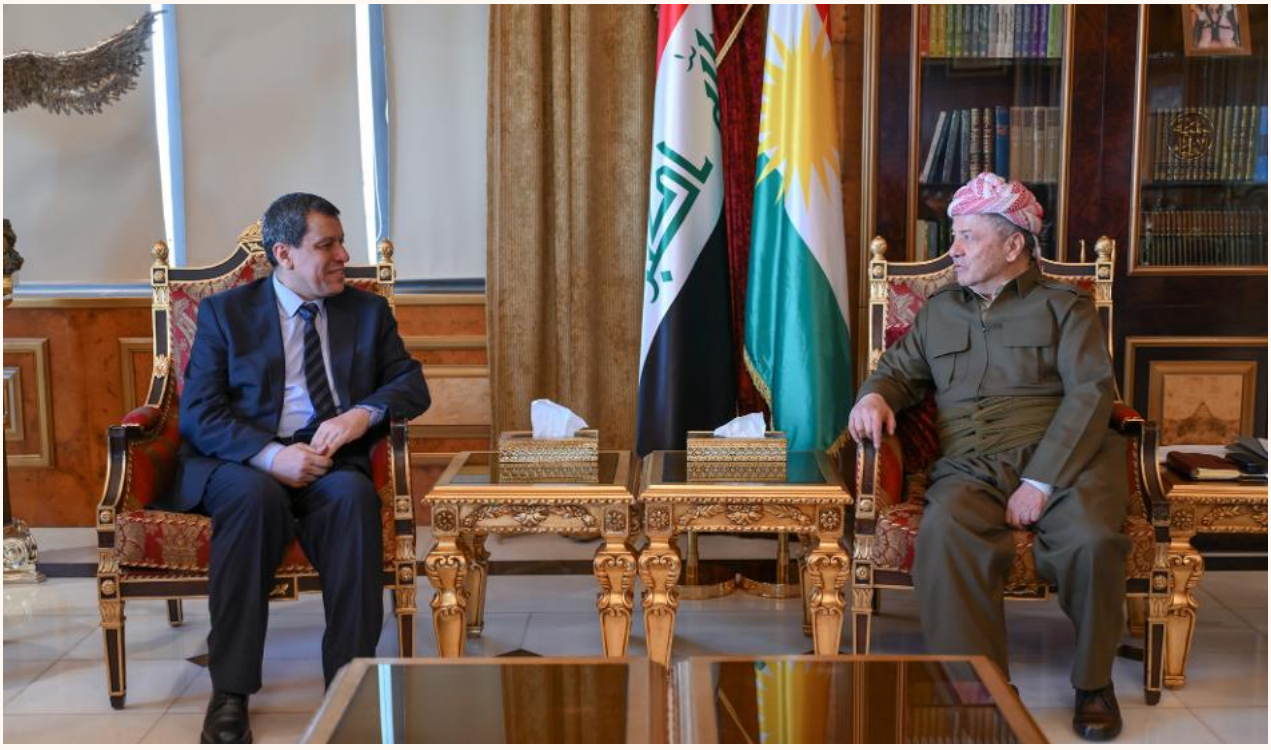

الرئيس مسعود بارزاني لدى استقباله مظلوم عبدي القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية

محورياً في حماية الكورد في سوريا ومنع تفاقم الأزمة. وقد ركّزت جهودهم على:

1. الحراك السياسي والدبلوماسي الخارجي عن طريق:

- إجراء اتصالات مكثفة مع الدول الفاعلة والمنظمات الدولية لرفع الصوت حول الوضع الكوردي في سوريا.

- الضغط لوقف إطلاق النار ومنع أي تصعيد يهدد المدنيين.

- تنسيق جهود دعم المفاوضات بين الأطراف الكوردية السورية لتوحيد الصف الكوردي.

2. الدعم الداخلي للمناطق الكوردية السورية من خلال:

- تقديم مساعدات سياسية وإعلامية لتسليط الضوء على الانتهاكات ضد الكورد.

- دعم مسارات التفاهم الداخلي لتجنب الفوضى والانقسامات واستغلالها ضد المجتمع الكوردي.

- توجيه الخطاب الرسمي والإعلامي لتثبيت الوعي حول حماية المدنيين وتعزيز الاستقرار.

3. تعزيز الوحدة والتنسيق الكوردي، فإن القيادات الكوردية:

- لعبت دور الوسيط بين الأطراف الكوردية، ما ساعد على تخفيف حدة التوترات وإعادة فتح قنوات الحوار.

- وأسهمت في خلق بيئة مواتية لإبرام اتفاقات مثل اتفاق 29 يناير الذي أعاد تنظيم خطوط التماس وحقق توازناً ميدانياً وسياسياً.

4. الدور الإعلامي والحقوقي، بـ:

- دعم الإعلام الكوردي والحقوقي في الإقليم لتسليط الضوء على الانتهاكات.

- نشر المعلومات محلياً ودولياً لتعزيز الوعي العالمي حول وضع الكورد السوريين.

وقد شكل تدخل قيادات إقليم كوردستان عاملاً مركزياً في منع التصعيد، وحماية المدنيين، وتعزيز وحدة الصف الكوردي، ودعم الحراك السياسي والدبلوماسي الذي ساهم في تثبيت استقرار المناطق الكوردية ضمن إطار تفاهمات سياسية واضحة، وفي رسالة واضحة لمن يريد استهداف الأكراد بأنهم ليسوا وحدهم ولن تتكرر مجازر الأنفال أو جرائم سنجار (شنگال) ثانية.

في الداخل السوري

داخلياً، برزت الانتفاضات والتحركات الشعبية في عدد من المدن والبلدات الكوردية بوصفها تعبيراً عن احتقان متراكم، وفي الوقت نفسه مؤشراً على تنامي الوعي الجمعي بضرورة توحيد الموقف الكوردي في مواجهة التحديات السياسية والأمنية.

واتسمت هذه التحركات بطابع شعبي واسع، حيث رُفعت شعارات ركزت على «الحقوق، والحماية، والشراكة

الصورة: سفين حميد

مظاهرة في أربيل لدعم حقوق الكورد في سوريا

السياسية»، ما يعكس انتقال المزاج العام من ردود فعل موضعية إلى خطاب أكثر تنظيماً ونضجاً.

وشكل حضور علم كوردستان رمزاً لوحدة المطالب القومية خارج الأطر الضيقة، إذ اصطفّ الآلاف في الساحات العامة في القامشلي والحسكة وكوباني وعامودا، إضافة إلى أحياء الشيخ مقصود والأشرفية في حلب، ونظموا وقفات ومسيرات سلمية، وأسسوا لجان محلية للتنسيق المجتمعي، مؤكدين التضامن والهوية الجامعة.

كما لعبت الفعاليات المدنية والشبابية دوراً بارزاً في توسيع نطاق الحراك وإضفاء طابع جامع عليه.

الحراك الكوردي في الخارج

نشطت الجاليات الكوردية في أوروبا ومناطق أخرى أيضاً بهذا الصدد عبر تنظيم وقفات تضامنية وحملات إعلامية وحقوقية، ما عزز حضور القضية الكوردية السورية في الفضاء الدولي، ورسخ دور الشتات كرافعة سياسية وإعلامية مكمّلة لحراك الداخل.

التفاهمات الكوردية – الكوردية

تشير المعطيات إلى إدراك متزايد لدى الأطراف الكوردية بأن استمرار الانقسام يضعف القدرة التفاوضية ويحد من فرص تثبيت المكاسب السياسية والإدارية.

وفي هذا الإطار، برز تصريح لمظلوم عبدي، القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية، أكد فيه في أكثر من مناسبة إعلامية رفضه للمناصب الحكومية التي عُرضت عليه، مشدداً على أن هدفه الحالي هو العمل على تشكيل مرجعية كوردية والحفاظ على وحدة الصف الكوردي.

العلاقة مع الحكومة الانتقالية

بالتوازي مع ذلك، شهدت المرحلة الأخيرة انفتاحاً حذراً بين القوى الكوردية والحكومة الانتقالية، ضمن مساعٍ لاستكشاف فرص التفاهم حول شكل العلاقة المستقبلية.

وتتمحور المطالب الكوردية حول الاعتراف بالحقوق السياسية والثقافية، وترسيخ اللامركزية الإدارية، وضمان شراكة فعلية في مؤسسات الدولة. في المقابل، تبدو الحكومة الانتقالية حريصة على الحفاظ على تماسك الدولة، وبين هذين المنظورين يتقدم الحوار والسعي إلى تفاهم دائم ببطء مع اختبار مستمر لمستوى الثقة.

في النهاية، يبقى نجاح هذا المسار مرهوناً بقدرة القوى الكوردية على تثبيت تفاهماتها الداخلية وإدارة حوار متوازن مع الحكومة الانتقالية، لتخوض المرحلة المقبلة برؤية موحّدة وإرادة مشتركة. ●

وثائق بريطانية حول القضية الكوردية

الشيخ محمد الكرباسي

مؤسس ورئيس مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر

يعمل المركز على مشروع يهدف إلى إعادة كتابة تاريخ العراق كتابةً وثائقية، تعتمد النص الأصلي أساساً، والتحليل السياقي منهجاً، والنقد الهادئ أداةً للفهم، وتأتي المسألة الكوردية في صميم المشروع بوصفها إحدى القضايا العراقية الجوهرية التي تشكّلت ملامحها الحديثة في ظل الإدارة البريطانية، والتوازنات الإقليمية، والتداخل الدولي.

أهمية الوثائق التي جرت الدراسة عليها:

تأتي وثائق الملف الموسوم بالرمز B.330، والمصنفة بوضوح على أنها «سري – ملكٌ لحكومة جلالة الملك البريطاني»، لتكشف عن جانب مهم من آلية التفكير وصنع القرار البريطاني إزاء كوردستان. فالوثيقة مذكرة سكرتير صادرة عن المؤتمر المشترك بين الدوائر حول شؤون الشرق الأوسط، أي أنها تمثل خلاصة مداولات رسمية بين عدة مؤسسات حكومية وعسكرية واستخبارية بريطانية.

وتكمن أهمية هذه الوثائق في أنها تُظهر تعدد الرؤى داخل الإدارة البريطانية وتكشف تردد السياسة البريطانية بين دعم الكيانات المحلية وإدارة التوازنات الدولية، وتبرز كيفية النظر إلى قضية الكورد بوصفها «مسألة إدارية – سياسية» أكثر من كونها قضية شعب ذي حق في تقرير مصير واضح.

الإطار المؤسسي لصنع القرار البريطاني حول كوردستان

تُشير الوثيقة بوضوح إلى أن الجهة التي صاغت هذا التقييم هي المؤتمر المشترك بين الدوائر حول شؤون الشرق الأوسط، وهو إطار تنسيقي أُنشئ داخل الحكومة البريطانية لمعالجة القضايا المعقّدة التي تتداخل فيها السياسة الخارجية مع الشؤون الإمبراطورية والعسكرية.

ولا يقتصر هذا المؤتمر على جهة واحدة، بل يضم: وزارة الخارجية، ومكتب الهند، والقيادة العامة في مصر وبلاد ما بين النهرين، والاستخبارات العسكرية (D.M.I)، وجهاز الاستخبارات البريطانية في القاهرة (I.D.C.E)، والمفوضيات السامية في بغداد والقسطنطينية.

ويكشف هذا التعدد المؤسسي أن المسألة الكوردية لم تكن تُدار من زاوية دبلوماسية خالصة، ولا عسكرية محضة، بل باعتبارها ملفاً مركّباً يمسّ الأمن العسكري، وإدارة الأراضي المحتلة، والعلاقات مع الحلفاء (خصوصاً فرنسا)، والترتيبات المستقبلية لما بعد مؤتمر السلام.

وتُظهر مذكرة السكرتير أن الوثيقة لا تكتفي بعرض الوقائع، بل تنتقل صراحة إلى: تقييم الزعامات الكوردية، واقتراح مسارات سياسية بديلة، ومناقشة حدود التدخل البريطاني. فهي، بهذا المعنى، وثيقة ما قبل القرار، وليست قراراً نهائياً. ويتجلى ذلك في:

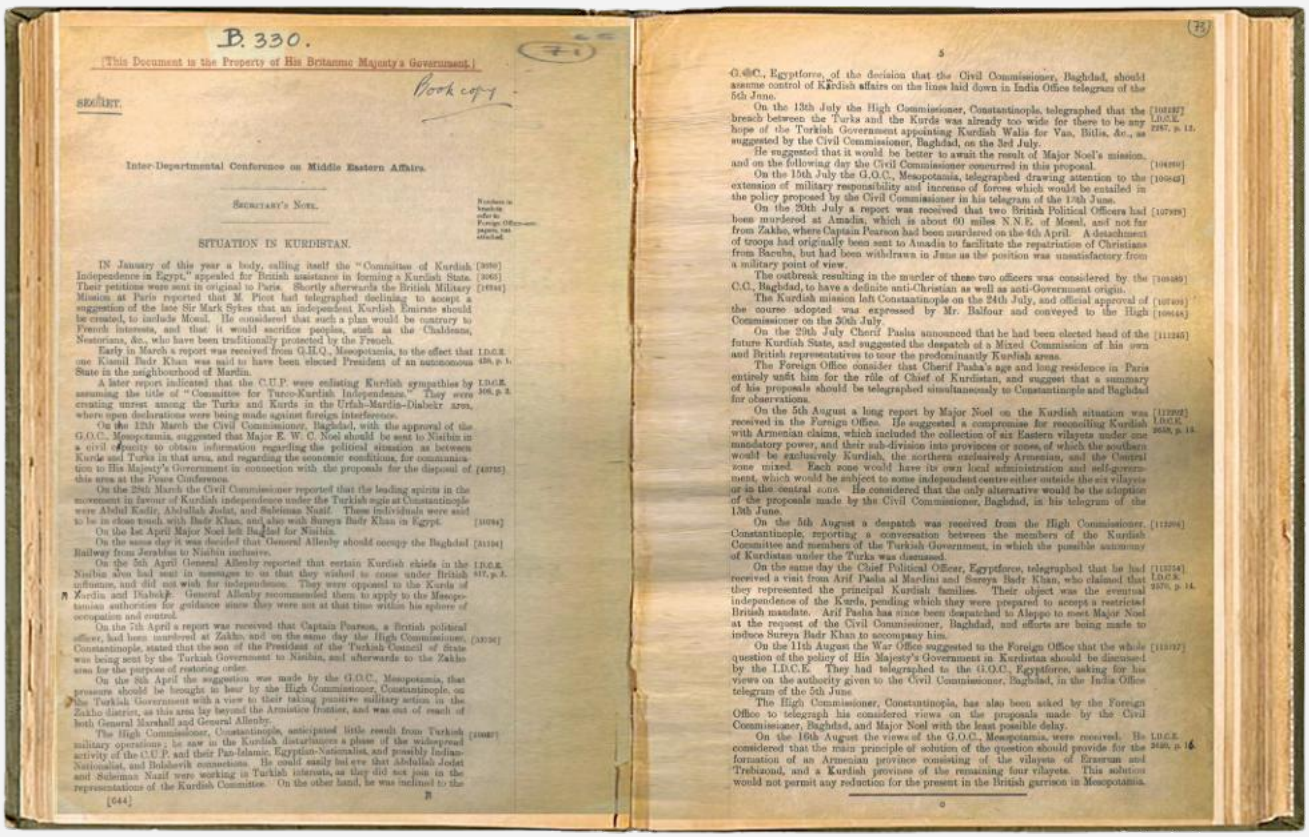

B. 330.

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

Book copy

SECRET.

Inter-Departmental Conference on Middle Eastern Affairs.

SECRETARY'S NOTE.

SITUATION IN KURDISTAN.

IN January of this year a body, calling itself the "Committee of Kurdish Independence in Egypt," appealed for British assistance in forming a Kurdish State. Their petitions were sent in original to Paris. Shortly afterwards the British Military Mission at Paris reported that M. Picot had telegraphed declining to accept a suggestion of the late Sir Mark Sykes that an independent Kurdish Emirate should be created, to include Mosul. He considered that such a plan would be contrary to French interests, and that it would sacrifice peoples, such as the Chaldeans, Nestorians, &c., who have been traditionally protected by the French.

Early in March a report was received from G.H.Q., Mesopotamia, to the effect that one Kiamil Badr Khan was said to have been elected President of an autonomous State in the neighbourhood of Mardin.

A later report indicated that the C.U.P. were enlisting Kurdish sympathies by assuming the title of "Committee for Turco-Kurdish Independence." They were creating unrest among the Turks and Kurds in the Urfah-Mardin-Diabekr area, where open declarations were being made against foreign interference.

On the 12th March the Civil Commissioner, Baghdad, with the approval of the G.O.C., Mesopotamia, suggested that Major E. W. C. Noel should be sent to Nisibin in a civil capacity to obtain information regarding the political situation as between Kurds and Turks in that area, and regarding the economic conditions, for communication to His Majesty's Government in connection with the proposals for the disposal of this area at the Peace Conference.

On the 29th March the Civil Commissioner reported that the leading spirits in the movement in favour of Kurdish independence under the Turkish ægis at Constantinople were Abdul Kadir, Abdullah Jodat, and Suleiman Nazif. These individuals were said to be in close touch with Badr Khan, and also with Sureya Badr Khan in Egypt.

On the 1st April Major Noel left Baghdad for Nisibin.

On the same day it was decided that General Allenby should occupy the Baghdad Railway from Jerablus to Nisibin inclusive.

On the 5th April General Allenby reported that certain Kurdish chiefs in the Nisibin area had sent in messages to us that they wished to come under British influence, and did not wish for independence. They were opposed to the Kurds of Kurdin and Diabekr. General Allenby recommended them to apply to the Mesopotamian authorities for guidance since they were not at that time within his sphere of occupation and control.

On the 7th April a report was received that Captain Pearson, a British political officer, had been murdered at Zakho, and on the same day the High Commissioner, Constantinople, stated that the son of the President of the Turkish Council of State was being sent by the Turkish Government to Nisibin, and afterwards to the Zakho area for the purpose of restoring order.

On the 8th April the suggestion was made by the G.O.C., Mesopotamia, that pressure should be brought to bear by the High Commissioner, Constantinople, on the Turkish Government with a view to their taking positive military action in the Zakho district, as this area lay beyond the Armistice frontier, and was out of reach of both General Marshall and General Allenby.

The High Commissioner, Constantinople, anticipated little result from Turkish military operations; he saw in the Kurdish disturbances a phase of the widespread activity of the C.U.P. and their Pan-Islamic, Egyptian-Nationalist, and possibly Indian-Nationalist, and Bolshevik connections. He could easily believe that Abdullah Jodat and Suleiman Nazif were working in Turkish interests, as they did not join in the representations of the Kurdish Committee. On the other hand, he was inclined to the

[644] B

5

G.O.C., Egyptforce, of the decision that the Civil Commissioner, Baghdad, should assume control of Kurdish affairs on the lines laid down in India Office telegram of the 5th June.

On the 13th July the High Commissioner, Constantinople, telegraphed that the breach between the Turks and the Kurds was already too wide for there to be any hope of the Turkish Government appointing Kurdish Walis for Van, Bitlis, &c., as suggested by the Civil Commissioner, Baghdad, on the 3rd July.

He suggested that it would be better to await the result of Major Noel's mission, and on the following day the Civil Commissioner concurred in this proposal.

On the 15th July the G.O.C., Mesopotamia, telegraphed drawing attention to the extension of military responsibility and increase of forces which would be entailed in the policy proposed by the Civil Commissioner in his telegram of the 13th June.

On the 20th July a report was received that two British Political Officers had been murdered at Amadia, which is about 60 miles N.N.E. of Mosul, and not far from Zakho, where Captain Pearson had been murdered on the 6th April. A detachment of troops had originally been sent to Amadia to facilitate the repatriation of Christians from Bacuba, but had been withdrawn in June as the position was unsatisfactory from a military point of view.

The outbreak resulting in the murder of these two officers was considered by the C.C., Baghdad, to have a definite anti-Christian as well as anti-Government origin.

The Kurdish mission left Constantinople on the 24th July, and official approval of the course adopted was expressed by Mr. Balfour and conveyed to the High Commissioner on the 30th July.

On the 29th July Cherif Pasha announced that he had been elected head of the future Kurdish State, and suggested the despatch of a Mixed Commission of his own and British representatives to tour the predominantly Kurdish areas.

The Foreign Office consider that Cherif Pasha's age and long residence in Paris entirely unfit him for the rôle of Chief of Kurdistan, and suggest that a summary of his proposals should be telegraphed simultaneously to Constantinople and Baghdad for observations.

On the 5th August a long report by Major Noel on the Kurdish situation was received in the Foreign Office. He suggested a compromise for reconciling Kurdish with Armenian claims, which included the collection of six Eastern vilayets under one mandatory power, and their sub-division into provinces or zones, of which the southern would be exclusively Kurdish, the northern exclusively Armenian, and the Central zone mixed. Each zone would have its own local administration and self-government, which would be subject to some independent centre either outside the six vilayets or in the central zone. He considered that the only alternative would be the adoption of the proposals made by the Civil Commissioner, Baghdad, in his telegram of the 13th June.

On the 5th August a despatch was received from the High Commissioner, Constantinople, reporting a conversation between the members of the Kurdish Committee and members of the Turkish Government, in which the possible autonomy of Kurdistan under the Turks was discussed.

On the same day the Chief Political Officer, Egyptforce, telegraphed that he had received a visit from Arif Pasha al Mardini and Sureya Badr Khan, who claimed that they represented the principal Kurdish families. Their object was the eventual independence of the Kurds, pending which they were prepared to accept a restricted British mandate. Arif Pasha has since been despatched to Aleppo to meet Major Noel at the request of the Civil Commissioner, Baghdad, and efforts are being made to induce Sureya Badr Khan to accompany him.

On the 11th August the War Office suggested to the Foreign Office that the whole question of the policy of His Majesty's Government in Kurdistan should be discussed by the I.D.C.E. They had telegraphed to the G.O.C., Egyptforce, asking for his views on the authority given to the Civil Commissioner, Baghdad, in the India Office telegram of the 5th June.

The High Commissioner, Constantinople, has also been asked by the Foreign Office to telegraph his considered views on the proposals made by the Civil Commissioner, Baghdad, and Major Noel with the least possible delay.

On the 16th August the views of the G.O.C., Mesopotamia, were received. He considered that the main principle of solution of the question should provide for the formation of an Armenian province consisting of the vilayets of Erzerum and Trebizond, and a Kurdish province of the remaining four vilayets. This solution would not permit any reduction for the present in the British garrison in Mesopotamia.

صفحتان من الوثيقة

- طرح ثلاثة مسارات للتعامل مع كوردستان.

- ربط أي خطوة بقرارات مؤتمر السلام في باريس.

- التحفظ المستمر على أي التزام عسكري مباشر.

ومن أهم ما تكشفه هذه الوثائق هو أن الإدارة البريطانية لم تتعامل مع كوردستان باعتبارها كياناً سياسياً مستقلاً في طور التشكّل، بل باعتبارها: منطقة اضطراب، وساحة تنازع نفوذ، وعقدة توازن بين الأتراك والأرمن والفرنسيين والبريطانيين. ولهذا جاء توصيف كوردستان في الوثيقة توصيفاً إدارياً - أمنياً، يقوم على: تقسيمها إلى مناطق نفوذ، وتقييم ولاءات زعاماتها، وبحث إمكان إخضاعها لإدارة أجنبية قوية، وهو ما مهّد لاحقاً لفشل أي مشروع واضح المعالم لتقرير المصير الكوردي.

تشخيص الوضع الكوردي في الوثائق البريطانية

تكشف وثائق المؤتمر المشترك بين الدوائر أن الإدارة البريطانية لم تنظر إلى كوردستان بوصفها وحدة سياسية متماسكة. فقد تكرّر في الوثائق التأكيد على أن الكرد «مشتتون جغرافياً» وأن السلاسل الجبلية تفصل بينهم على نحو يجعل توحيدهم أمراً متعذراً من دون إدارة أجنبية قوية. وهذا التوصيف ليس توصيفاً بريئاً، بل يمثل أرضية نظرية لتبرير:

- رفض قيام دولة كوردية مستقلة ذات سيادة كاملة.

- القبول بفكرة الإدارة الخارجية أو الانتداب.

- التعامل مع كوردستان بوصفها مناطق لا مركزاً واحداً.

واللافت أن الوثائق لم تطرح سؤال: هل يحق للكورد أن يكون لهم كيان سياسي؟ بل تطرح سؤالاً مختلفاً تماماً: كيف يمكن إدارة هذه المناطق بأقل تكلفة سياسية وعسكرية؟

وتعتمد الوثائق تقسيماً واضحاً للمجتمع الكوردي إلى اتجاهات متباينة، يكاد يكون هو الأساس الذي بُنيت عليه جميع السيناريوهات السياسية المقترحة. ويمكن تلخيص هذا التقسيم كما يلي:

تيار يُنظر إليه بوصفه معتدلاً وقابلاً للتفاهم، وهو التيار الذي رأت فيه الإدارة البريطانية قابلية للتعاون، خصوصاً إذا ما قُدِّمت له تطمينات تتعلق بعدم فرض الهيمنة الأرمنية، وبعدم اتباع سياسة انتقامية، وبإمكانية الحكم الذاتي تحت إشراف بريطاني.

وهناك تيار متشدد موصوف بالعداء للمسيحيين والأجانب، وقد صُوِّر هذا التيار في الوثائق بوصفه: معادياً للمصالح البريطانية، ومتأثراً بالدعاية التركية، وقابلاً للانفجار الأمني والعسكري.

ولا تخفي الوثائق أن هذا التصنيف لم يكن توصيفاً اجتماعياً محايداً، بل كان أداة سياسية لتحديد من يُدعَم ومن يُهمَّش ومن يُستبعد تماماً من أي مشروع مستقبلي.

ويعدّ الخوف من الهيمنة الأرمنية أحد أكثر العناصر تكراراً في الوثائق، وهو عنصر محوري لفهم الموقف الكوردي كما نقلته التقارير البريطانية. فقد اعتبرت الوثائق أن هذا الخوف هو الدافع الرئيسي للتحركات الكوردية، وهو السبب الأساس للتوترات والاضطرابات، وهو العامل الذي يمكن استثماره سياسياً لكسب ولاء الكورد.

وتُظهر الوثائق أن الإدارة البريطانية نظرت إلى كوردستان بوصفها منطقة غير مستقرة، وقابلة للاشتعال، وتحتاج إلى إدارة أكثر مما تحتاج إلى تمكين سياسي. وتُظهر الوثائق درجة من التعاطف النظري مع المطالب الكوردية، خصوصاً في الاعتراف بأغلبيتهم السكانية، والإقرار بمخاوفهم، والحديث عن حكم ذاتي.

لكن هذا التعاطف يبقى محصوراً في الخطاب، والتقارير، والتقييمات الداخلية. أما على مستوى القرار، فيظل مقيداً بثلاثة اعتبارات كبرى: الموقف الفرنسي، والمسألة الأرمنية، والتكلفة العسكرية.

وبذلك يتضح أن السياسة البريطانية تجاه الكورد كانت سياسة تفهم بلا التزام، وتعاطف بلا حسم.

وقد اهتمت الوثائق اهتماماً بالغاً بالزعامات الكوردية، لا بوصفها قيادات وطنية ذات مشروعات سياسية مستقلة، بل باعتبارها عناصر فاعلة يمكن توظيفها أو تحييدها ضمن سياسة إدارة الاستقرار.

ويكشف هذا المستند من الوثائق أن القراءة البريطانية للزعامات الكوردية كانت قراءة وظيفية، تُخضع المكانة الاجتماعية والسياسية لكل زعيم لمدى فائدته العملية، لا لتمثيله الفعلي للإرادة الكوردية، بل لمدى قابليتها للانسجام مع المصالح البريطانية في المرحلة الانتقالية. ومن بين هذه القيادات:

أولاً: عبد القادر.. زعامة مترددة بين الطموح والقيود

تُعدّ شخصية عبد القادر من أكثر الشخصيات حضوراً في الوثائق، وقد حظيت بتقييم متناقض يعكس الحيرة البريطانية إزاء موقعه الحقيقي. فمن جهة، تصفه الوثائق بأنه صاحب ميول معادية للحكومة التركية، وصادق في احتجاجاته ضد السياسات العثمانية، ومدرك لحساسية المسألة الأرمنية وخطورتها على الكورد.

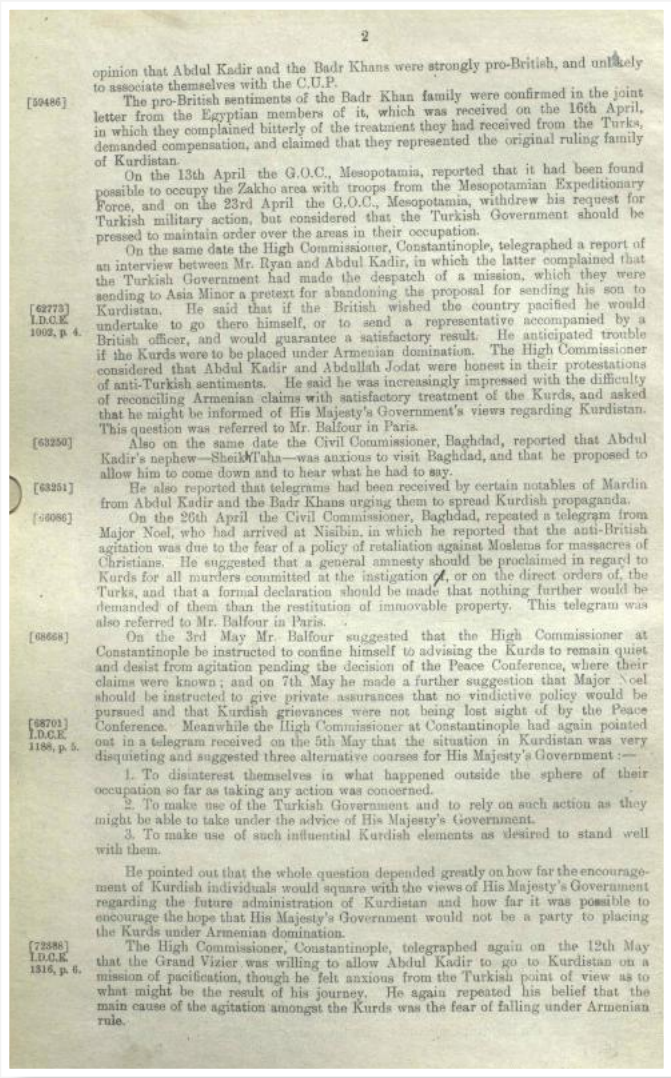

2

opinion that Abdul Kadir and the Badr Khans were strongly pro-British, and unlikely to associate themselves with the C.U.P.

[59486] The pro-British sentiments of the Badr Khan family were confirmed in the joint letter from the Egyptian members of it, which was received on the 16th April, in which they complained bitterly of the treatment they had received from the Turks, demanded compensation, and claimed that they represented the original ruling family of Kurdistan.

On the 13th April the G.O.C., Mesopotamia, reported that it had been found possible to occupy the Zakho area with troops from the Mesopotamian Expeditionary Force, and on the 23rd April the G.O.C., Mesopotamia, withdrew his request for Turkish military action, but considered that the Turkish Government should be pressed to maintain order over the areas in their occupation.

On the same date the High Commissioner, Constantinople, telegraphed a report of an interview between Mr. Ryan and Abdul Kadir, in which the latter complained that the Turkish Government had made the despatch of a mission, which they were sending to Asia Minor a pretext for abandoning the proposal for sending his son to Kurdistan. He said that if the British wished the country pacified he would undertake to go there himself, or to send a representative accompanied by a British officer, and would guarantee a satisfactory result. He anticipated trouble if the Kurds were to be placed under Armenian domination. The High Commissioner considered that Abdul Kadir and Abdullah Jodat were honest in their protestations of anti-Turkish sentiments. He said he was increasingly impressed with the difficulty of reconciling Armenian claims with satisfactory treatment of the Kurds, and asked that he might be informed of His Majesty's Government's views regarding Kurdistan. This question was referred to Mr. Balfour in Paris.

[62773] I.D.C.K. 1002, p. 4.

[63250] Also on the same date the Civil Commissioner, Baghdad, reported that Abdul Kadir's nephew—Sheikh Taha—was anxious to visit Baghdad, and that he proposed to allow him to come down and to hear what he had to say.

[63251] He also reported that telegrams had been received by certain notables of Mardin from Abdul Kadir and the Badr Khans urging them to spread Kurdish propaganda.

[56086] On the 26th April the Civil Commissioner, Baghdad, repeated a telegram from Major Noel, who had arrived at Nisibin, in which he reported that the anti-British agitation was due to the fear of a policy of retaliation against Moslems for massacres of Christians. He suggested that a general amnesty should be proclaimed in regard to Kurds for all murders committed at the instigation of, or on the direct orders of, the Turks, and that a formal declaration should be made that nothing further would be demanded of them than the restitution of immovable property. This telegram was also referred to Mr. Balfour in Paris.

[68668] On the 3rd May Mr. Balfour suggested that the High Commissioner at Constantinople be instructed to confine himself to advising the Kurds to remain quiet and desist from agitation pending the decision of the Peace Conference, where their claims were known; and on 7th May he made a further suggestion that Major Noel should be instructed to give private assurances that no vindictive policy would be pursued and that Kurdish grievances were not being lost sight of by the Peace Conference. Meanwhile the High Commissioner at Constantinople had again pointed out in a telegram received on the 5th May that the situation in Kurdistan was very disquieting and suggested three alternative courses for His Majesty's Government:—

[68701] I.D.C.K. 1188, p. 5.

1. To disinterest themselves in what happened outside the sphere of their occupation so far as taking any action was concerned.

2. To make use of the Turkish Government and to rely on such action as they might be able to take under the advice of His Majesty's Government.

3. To make use of such influential Kurdish elements as desired to stand well with them.

He pointed out that the whole question depended greatly on how far the encouragement of Kurdish individuals would square with the views of His Majesty's Government regarding the future administration of Kurdistan and how far it was possible to encourage the hope that His Majesty's Government would not be a party to placing the Kurds under Armenian domination.

[72386] I.D.C.K. 1316, p. 6.

The High Commissioner, Constantinople, telegraphed again on the 12th May that the Grand Vizier was willing to allow Abdul Kadir to go to Kurdistan on a mission of pacification, though he felt anxious from the Turkish point of view as to what might be the result of his journey. He again repeated his belief that the main cause of the agitation amongst the Kurds was the fear of falling under Armenian rule.

الصفحة الأخيرة من الوثيقة

ومن جهة أخرى، تُبدي الوثائق شكوكاً واضحة في مدى تأثيره الحقيقي داخل كوردستان، وصلته المتوترة ببعض الزعامات الميدانية، وغيابه الطويل عن الإقليم.

وتشير التقارير إلى أن عبد القادر، رغم حضوره السياسي في القسطنطينية، كان بعيداً عن الواقع الاجتماعي والعشائري الكوردي، الأمر الذي جعل الإدارة البريطانية ترى أن الاستفادة

منه مشروطة بتقييد حركته الجغرافية والسياسية.

كما تكشف الوثائق أن عبد القادر كان ينظر إلى بريطانيا بوصفها الضامن الوحيد لعدم إخضاع الكورد للهيمنة الأرمنية والقوة القادرة على منح «بداية جديدة» لكوردستان. غير أن هذا التعويل لم يُقابَل بالتزام بريطاني واضح، بل ظل ضمن دائرة التقدير المشروط.

ثانياً: آل بدرخان.. زعامة عملية قابلة للتوظيف

على خلاف التردد الذي أحاط بشخصية عبد القادر، تُظهر الوثائق ارتياحاً نسبياً تجاه آل بدرخان. فقد وُصفت هذه الأسرة بأنها ذات ميول بريطانية قوية، ومتضررة من السياسات التركية، وأكثر استعداداً للتعاون الميداني.

وتكشف الرسائل الواردة من فروع العائلة، ولا سيما من مصر، عن خطاب واضح يطالب بالتعويض عن المظالم السابقة، وبالاعتراف بدورهم التاريخي في حكم كوردستان، وبالحماية البريطانية بوصفها بديلاً عن السيطرة التركية أو الأرمنية.

ومن اللافت أن الوثائق لا تناقش مشروعية هذه الادعاءات، بل تركّز على قابليتها للتوظيف السياسي، وهو ما يفسر اقتراح إرسال أفراد من آل بدرخان للالتحاق بالميجور نويل في مهمة ميدانية داخل كوردستان.

وهكذا، تتحول الزعامة هنا من مشروع سياسي إلى أداة اتصال وتأثير ضمن سياسة بريطانية أوسع.

ثالثاً: شريف باشا.. الزعامة المنفية وحدود القبول الدولي

يظهر شريف باشا في الوثائق بوصفه حالة خاصة؛ فهو رئيس الوفد الكوردي في مؤتمر السلام بباريس وصاحب طموح واضح لتولي رئاسة دولة كوردية مستقبلية. غير أن الوثائق تكشف بوضوح أن الإدارة البريطانية لم تنظر إليه بوصفه خياراً واقعياً، بل اعتبرته متقدماً في السن، وبعيداً عن الميدان، ومنغمساً في العمل الدبلوماسي أكثر من الواقع الاجتماعي الكوردي.

لذلك رأت وزارة الخارجية أن شريف باشا غير مناسب تماماً لتولي موقع قيادي تنفيذي، واكتفت بالتعامل مع مقترحاته بوصفها آراء للاطلاع، لا مشاريع قابلة للتنفيذ.

وتكشف هذه النظرة عن فجوة واضحة بين التمثيل الكوردي في المحافل الدولية، والاعتبارات العملية التي حكمت السياسة البريطانية.

رابعاً: الشيخ محمود.. من الزعامة المحتملة إلى الاستبعاد الكامل

تتناول الوثائق الشيخ محمود الحفيد بوصفه مثالاً للزعامة التي أسقطت نفسها بنفسها من الحسابات البريطانية. فعلى الرغم من أنه برز في مرحلة ما بوصفه مطالباً محتملاً بالقيادة، فإن قيادته لاندلاع محلي غير محسوب وقمع هذا التحرك عسكرياً جعلا الإدارة البريطانية تستبعده نهائياً من أي تصور سياسي مستقبلي.

وتكشف هذه الحالة أن الخط الأحمر في التقييم البريطاني لم يكن الطموح السياسي، بل التحرك الميداني غير المنضبط، لما يحمله من تكلفة أمنية وعسكرية.

النتيجة المستخلصة من الوثائق

تكشف الوثائق أن بريطانيا لم تكن أمام خيار واحد في كوردستان، بل أمام ثلاثة مسارات رئيسية محتملة طُرحت داخل الإدارة البريطانية للتعامل مع الوضع في كوردستان:

- عدم التدخل خارج مناطق الاحتلال: ويقوم على تجنّب أي التزام سياسي أو عسكري مباشر في المناطق الكوردية الواقعة خارج السيطرة البريطانية، والاكتفاء بالمراقبة وانتظار نتائج مؤتمر السلام.

- الاعتماد على الحكومة التركية: ويقوم على ممارسة ضغط سياسي على الحكومة التركية لحفظ النظام في المناطق الكوردية، مع تقديم مشورة بريطانية غير ملزمة.

- الاستفادة من العناصر الكوردية المؤثرة: يقضي بالتعاون مع زعامات كردية مختارة، وتقديم تطمينات محدودة لها، من دون الالتزام بقيام كيان سياسي مستقل.

وتُظهر الوثائق أيضا أن مؤتمر السلام في باريس شكّل المرجعية العليا المؤجِّلة لكل قرار. فكل مسألة جوهرية أُرجئت بحجة انتظار ترسيم الحدود، وتحديد مصير أرمينيا، والتفاهم مع فرنسا. وبذلك تحولت كوردستان إلى ملف مؤجَّل، لا بسبب غموض الواقع، بل بسبب تضارب المصالح الدولية. ولم تكن بريطانيا مستعدة لحسم ملف كوردستان قبل اتضاح الموقف الفرنسي والترتيب النهائي للانتدابات.

ومن خلال تتبع المقترحات والقيود في الوثائق نستنتج ويتضح أن السياسة البريطانية تجاه كوردستان لم تسعَ إلى حلّ جذري، بل إلى: احتواء الاضطراب، ومنع الانفجار، وشراء الوقت. ●

جمعية صلاح الدين الايوبي الكوردية تحيي يوم العز والافتخار

كورد الأردن

نموذجاً للاندماج وبناء الدولة

د. أماني غازي جرار

باحثة وأكاديمية

تُعدّ مقاربة «أعمدة الأمة» إطاراً تفسيرياً عميقاً لفهم تشكّل المجال الحضاري في المشرق بوصفه حصيلة تكامل أدوار تاريخية، لا نتيجة تنازع هويات إثنية مغلقة. فالأمة، في مسارها الطويل، لم تُبنَ على عنصر عرقي واحد، بل تبلورت عبر تفاعل جماعات كبرى أدّت وظائف حضارية متكاملة في بناء الدولة، وصياغة المعرفة، وترسيخ المرجعية القيمية الجامعة. ومن هذا المنظور، لا تعبّر الأعمدة عن كيانات متقابلة، بل عن وظائف حضارية متداخلة أسهمت في إنتاج وحدة تاريخية مرنة، قادرة على استيعاب التعدد من دون أن تنزلق إلى التفكك.

يُقدَّم مفهوم «أعمدة الأمة الأربعة» في خطاب سمو الأمير الحسن بن طلال بوصفه إطاراً تحليلياً لفهم البنية الحضارية للمنطقة الممتدة بين المجال العربي وتركيا وإيران، بعيداً عن أي تصنيفٍ إثني أو مقاربةٍ هوياتية مغلقة. ففي الكلمة الافتتاحية لمؤتمر «أعمدة الأمة الأربعة» الذي عُقد في عمّان عام 2018، جرى التأكيد على أن العرب والفرس والترك والكورد يمثلون مكوّناتٍ تاريخيةً كبرى أسهمت بصورةٍ تكاملية في إنتاج المجال الحضاري المشترك، وأن هذا المجال لم يتكوّن بوصفه وحدةً عرقيةً صافية، بل عبر مسارٍ تراكمي من التفاعل المعرفي والسياسي والثقافي.

يمثّل العرب عمود التأسيس الحضاري، حيث ارتبطت تجربتهم المبكرة بالوحي، وبناء اللغة الجامعة، وصياغة

الإطار القيمي والمعياري الذي انتظمت داخله سائر المكوّنات. فقد أسهمت العربية في تأسيس فضاء معرفي مشترك، وفي بلورة النموذج الأول للشرعية السياسية والرمزية، بما منح الأمة مركزها المرجعي العام. أما الفرس، فقد شكّلوا عمود التنظيم والإدارة والإنتاج المعرفي، من خلال تطوير تقاليد الحكم، وترسيخ النظم البيروقراطية، وإغناء الفلسفة والعلوم والآداب، الأمر الذي عزّز قدرة الدولة على الاستمرار والتوسع. في حين برز الترك عموداً للدولة والقوة السياسية والعسكرية، عبر بناء النظم السلطانية، وصيانة المجال السياسي في مراحل تعدّد المراكز وتراجع السلطة المركزية.

وفي هذا البناء التفاعلي، يبرز الكورد بوصفهم عمود التوازن والاندماج الحضاري. فقد أدّوا أدواراً مركّبة جمعت بين القيادة العسكرية والإدارية، والاندماج الاجتماعي، والوفاء للمرجعية الجامعة. ولم تتشكّل الهوية الكوردية، في معظم مراحلها التاريخية، على مشروع قطيعة مع الإطار الحضاري العام، بل في تماسّ مستمر مع الدولة والمجتمع. وقد أتاح انتشارهم الجغرافي في الأناضول والجزيرة الفراتية وبلاد الشام وإيران والعراق موقعاً وسطياً بين المراكز السياسية، ما عزّز نمطاً من الحضور القائم على التكيّف والمشاركة، لا العزلة والانفصال.

ومع التحوّل إلى الدولة الوطنية الحديثة في القرن العشرين، أعادت الحدود السياسية الصلبة وخطابات السيادة تعريف العلاقة بين الهوية والدولة. ففي بعض السياقات، جرى تسييس الهوية وتحويلها إلى أداة صراع، بينما أُتيح في سياقات أخرى إعادة دمجها ضمن مفهوم المواطنة. وهنا تبرز الحالة الأردنية بوصفها نموذجاً دالاً على إمكانية تحويل العمق التاريخي إلى دور حضاري متجدد داخل الدولة الوطنية.

تشكل الوجود الكوردي في الأردن عبر موجات صغيرة ومتقطعة ارتبطت بالتحولات الإقليمية وبالوظائف العسكرية والإدارية، ثم تعزّز لاحقاً بعوامل مدنية واقتصادية. ولم تحمل هذه الهجرات مشروعاً سياسياً مغلقاً أو خطاباً هوياتياً صدامياً، بل اندمجت تدريجياً في المجتمع المحلي. وقد أسهم هذا التدرّج في جعل الاندماج يسير بصورة طبيعية، من دون أن يُنتج مطالب جماعية خاصة أو صراعات سياسية ذات طابع إثني، وهو ما ميّز التجربة الأردنية عن تجارب أخرى في الإقليم.

على المستوى الاجتماعي، لعبت المصاهرة وشبكات القرابة والعلاقات اليومية دوراً حاسماً في تحويل الاختلاف الثقافي إلى رابطة اجتماعية. فالمصاهرة لم تكن مجرد علاقة عائلية، بل آلية اجتماعية لتوسيع دوائر الانتماء، وإعادة إنتاج هوية وطنية مشتركة تستوعب التعدد من دون إنكاره. وقد عكست السجلات الشرعية في مدن أردنية مثل السلط حضوراً كوردياً مندمجاً في الملكية والزواج والمعاملات الاجتماعية منذ أواخر العهد العثماني، ما يدل على أن الاندماج كان مساراً تاريخياً ممتداً، لا ظاهرة طارئة.

أما ثقافياً، فقد حافظ الكورد على بعض الرموز في المجال الخاص، كالأغاني والمأكولات والذاكرة العائلية، من دون أن تتعارض هذه الممارسات مع الهوية الوطنية الجامعة. ولم يتشكّل حضورهم بوصفه ثقافة موازية أو منافسة، بل جزءاً من التنوع الثقافي الوطني الذي أسهم في إثراء التراث الشعبي وتعزيز التماسك الاجتماعي. وهنا تتجلّى خصوصية النموذج الأردني، حيث لم يُفضِ التعدد إلى انقسام هوياتي، بل إلى إعادة إنتاج المجال الاجتماعي في إطار وطني جامع.

> **يمثّل كورد الأردن نموذجاً للنجاح الحضاري القائم على التوازن بين الخصوصية والانتماء الوطني**

سياسياً ومؤسسياً، اتّسم الدور الكوردي في الأردن بطابع وظيفي واضح، تجلّى في المشاركة في مؤسسات الدولة، والالتزام بالمرجعية الوطنية، وتغليب منطق المواطنة على الخطاب الهوياتي الضيّق. فقد انخرط الكورد في مؤسسات الدولة المختلفة، وأسهموا في الحياة العامة من دون المطالبة بتمثيل سياسي قائم على أساس إثني. وقد أتاح هذا النمط من الاندماج تشكّل هوية مزدوجة هادئة، تُمارس فيها الخصوصية الثقافية في المجال الاجتماعي، بينما يحتل الانتماء الوطني موقع المرجعية السياسية العليا.

ومن منظور «أعمدة الأمة»، يمكن قراءة هذه التجربة باعتبارها انتقالاً من الهوية بوصفها علامة تمايز، إلى الدور بوصفه أداة اندماج. فالدور هو ما يمنح الهوية معناها العملي داخل الدولة، ويحدّد موقعها في الحاضر، ويمنعها من التحوّل إلى عبء سياسي. وحين تُدمج الهوية داخل وظيفة حضارية واجتماعية تخدم الدولة والمجتمع، تصبح رصيداً للاستقرار، لا عاملاً للتفكيك.

تكتسب هذه القراءة أهمية خاصة في السياق العربي الراهن، حيث تعاني دول عديدة من توترات هوياتية حادة نتيجة اختلال العلاقة بين الدولة والتعدد. فحين تُفصل الهوية عن الدور، وتُقدَّم بوصفها أساساً للمطالبة السياسية، تميل

إلى التحوّل إلى عامل توتّر. أما حين يُعاد تعريف الجماعات التاريخية من خلال أدوارها داخل الدولة، لا من خلال هوياتها المجردة، فإنها تتحوّل إلى عناصر استقرار وبناء.

إن التجربة الأردنية، في هذا السياق، لا تُقدَّم بوصفها حالة مثالية مكتملة، بل بوصفها نموذجاً قابلاً للتأمل والتحليل. فهي تكشف أن التوازن بين الدور والهوية ليس مستحيلاً، بل مشروط بإطار سياسي مستقر، وثقافة مواطنة راسخة، وغياب سياسات الإقصاء، ووجود مرجعية وطنية جامعة تتقدّم على الانقسامات الفرعية.

وعليه، فإن مفهوم «أعمدة الأمة»، كما يتجلّى في الحالة الأردنية، لا يستدعي الماضي بوصفه حنيناً، بل بوصفه أداة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل. إنه إطار يعيد التفكير في العلاقة بين التعدد والدولة، وبين الهوية والمواطنة، على أساس التكامل الوظيفي والمرجعية الجامعة. وفي عالم عربي يشهد تحولات عميقة وتوترات مركّبة، يظل هذا التصور مدخلاً ضرورياً لإعادة بناء الأمة بوصفها مشروعاً حضارياً مفتوحاً، قادراً على استيعاب التعدد من دون أن يفقد وحدته أو مقاصده الكبرى.

وفي هذا السياق، يمثّل كورد الأردن نموذجاً للنجاح الحضاري القائم على التوازن بين الخصوصية والانتماء الوطني. فقد أثبتت تجربتهم أن العمق التاريخي يمكن أن يتحوّل إلى قيمة مضافة داخل الدولة، لا إلى عبء سياسي أو مصدر توتّر. لقد اندمجوا في مؤسسات الدولة، وأسهموا في الاقتصاد والتعليم والخدمة العامة، مع الحفاظ على حضور ثقافي هادئ لا يتعارض مع الهوية الوطنية. ويكشف هذا النموذج أن الاندماج الناجح لا يقوم على الإلغاء ولا على الانغلاق، بل على التفاعل الواعي داخل إطار المواطنة، بما يجعل التعدد قوةً داعمةً للاستقرار وبناء الدولة، لا تحدياً لها.

الشمس تكتب قصة جديدة

كوردستان نحو طاقة نظيفة

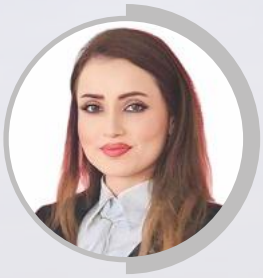

سجى إسماعيل

صحفية

في قرية صغيرة اسمها تربَسپي، جنوب شرقي دهوك، لم يعد الليل يعلنه ضجيج المولدات ولا يثقل هواءه دخانها الأسود. هنا، فوق أسطح المنازل وبين الحقول، تتلألأ ألواح الطاقة الشمسية كأنها مرايا تعكس قراراً جماعياً: أن يختار الناس الضوء على العتمة، والهدوء على الضوضاء، والطبيعة على الوقود.

ذاكرة المعاناة

لسنوات طويلة، كان الأهالي يعيشون على حافة القلق. الكهرباء الوطنية محدودة، والمولدات تبتلع الدخل وتُعطّل الزراعة. المواطن محمد عبد العزيز، أحد الفلاحين في القرية، يتذكر تلك الأيام قائلاً: «المولدات كانت تستنزفنا وقوداً وأعصاباً»، واصفاً قرار التحول إلى الطاقة الشمسية بأنه أفضل قرار اتخذه في حياته.

استثمر عبد العزيز تسعة آلاف دولار في نظام توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية لتشغيل مضخات المياه التي تروي أرضه الزراعية، فصار الري منتظماً، والمحاصيل أكثر وفرة وجودة. حتى الأرز، الذي كان زراعته مغامرة، أصبح اليوم محصولاً ناجحاً في القرية.

مختار قرية تربَسپي، جلال عيسى كان من أوائل من قام بتركيب الألواح الشمسية على سطح منزله. أكد أنه بتكلفة ثلاثة آلاف دولار فقط، حصل على كهرباء مستقرة، ونجاح التجربة أقنع الجميع بأن يخوضوا التجربة نفسها. وأضاف لـ«كوردستان بالعربي» أنه «خلال أشهر قليلة، تحولت منازل القرية كلها، بما فيها المدرسة والمسجد، إلى الاعتماد الكامل على الطاقة الشمسية. اختفى الضجيج والدخان، وتحوّل ما كان يُصرف على الوقود إلى تحسين مستوى المعيشة».

الآثار الصحية

القصة لم تتوقف عند الاقتصاد والزراعة. فالأهالي يذكرون أن تسعة أشخاص من القرية أصيبوا بأورام سرطانية قبل اعتماد الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء في القرية، أربعة منهم فارقوا الحياة. ومنذ عامين، لم تُسجل أية إصابة جديدة. الطبيبة ديلمان يوسف تؤكد لـ«كوردستان بالعربي» أن «عوادم المولدات تحمل غازات سامة تؤثر على الأطفال وكبار السن. وتشيد بخطوة القرية في التحول للطاقة المتجددة التي قللت الانبعاثات الضارة».

دعم الكابينة التاسعة

وزارة الكهرباء في حكومة الإقليم التاسعة باركت نجاح تجارب اعتماد الطاقة المتجددة وقررت دعم هذا التحول عبر تسهيلات وقروض، ما رفع إنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية إلى أكثر من 20 ميغاواط، فيما تقدمت السليمانية بطلبات لتركيب أنظمة تصل إلى ألفي ميغاواط.

من جانبه، أوضح المهندس إبراهيم إسماعيل أن أنظمة توليد الكهرباء عبر

الصور: شفان عثمان

الطاقة الشمسية لأغراض الزراعة تختلف عن الكهرباء المناسبة للمنازل، وأضاف قائلاً لـ«كوردستان بالعربي» إن «المنظومة الخاصة بالزراعة تعتمد على مضخات غاطسة وأنظمة تحكم مباشرة من دون بطاريات، ما يقلل التكلفة ويزيد الكفاءة»؛ مؤكداً أن التحول إلى الطاقة الشمسية للحصول على الكهرباء في محافظة دهوك يزداد يوماً بعد آخر، وأن النظام يسترد تكلفته خلال عامين فقط، مقارنة بمصاريف الوقود والصيانة.

تربَسپي اليوم ليست مجرد قرية صغيرة إنها قصة عن مجتمع قرر أن يواجه العتمة وعلى خطى روّاد مشاريع الطاقة النظيفة. ●

الاعتماد على الألواح الشمسية للحصول على الطاقة الكهربائية يزداد رواجاً مع الوقت

معادن دفينة تنتظر الاستثمار

على الحدود الشمالية والشرقية لإقليم كوردستان، ثمة شواهد علمية على ثروة معدنية بباطن الأرض، قد تسهم في إعادة تشكيل مستقبل الاقتصاد المحلي، لاسيما أن بعض معادنها مطلوبة عالمياً في سباق التحول إلى الطاقة النظيفة والتكنولوجيا المتقدمة. جيولوجياً؛ يقع الإقليم ضمن حزام أوفيوليتي يمتد عبر تركيا وإيران، حيث تدير الدولتان العشرات من المناجم المنتجة للذهب والحديد والنحاس والكروم.

فاروجان خاجيك سيساكيان

خبير جيولوجي

الصور: ناصح علي خياط

شواهد.. وعد جيولوجي أم مشروع مستقبلي حقيقي

منذ عقود، رصد الجيولوجيون الكثير من الشواهد المعدنية في جبال كوردستان. والشاهد المعدني في لغة المختصين يعني ببساطة أن هناك دليلاً على وجود معدن ما في المنطقة. لكنه ليس دليلاً كافياً على وجود خام تجاري. والفرق شاسع بين الاثنين. فما تم إنجازه من دراسات حول هذه الشواهد لا يتجاوز بين 40 الى 90 في المائة. وهذا يعني أن الانتقال إلى مرحلة الاستخراج الفعلي يتطلب استكمال أعمال التنقيب والحفر ودراسات الجدوى الاقتصادية. في عام 2016 نشرت وزارة الثروات الطبيعية خريطة واعدة قسمت الإقليم إلى سبع مناطق للاستثمار المعدني وكانت تلك الخطوة الوحيدة في هذا المجال.

كنوز في انتظار تقييم الاحتياطيات

تشير تقديرات وزارة الثروات الطبيعية في الإقليم إلى وجود حزام معدني بعرض يتراوح بين 15 - 25 كيلومتراً، غني بالمعادن الفلزية واللافلزية. غير أن معظم البيانات المتاحة لا تزال في إطار غير قابل للاستثمار وخاصة تلك «الشواهد المعدنية»، أي مؤشرات أولية قد تدل على وجود خامات اقتصادية، من دون الوصول إلى مرحلة تحديد الاحتياطيات المؤكدة القابلة للاستثمار وفق المعايير المعروفة. كما أن نسب إنجاز الدراسات في عدد من المواقع لم تكتمل بعد، ما يعني أن الانتقال إلى الاستثمار التجاري يتطلب برامج مسح جيولوجي واستكشاف تفصيلي وأعمال حفر وتقييماً اقتصادياً وتجارياً دقيقاً.

شواهد المعادن الموجودة في إقليم كوردستان:

• النحاس: يتصدر القائمة، وهو معدن استراتيجي، والمواقع المؤشرة التي تضم كميات منه تقع شمال محافظة السليمانية، في منطقة ماوت.

أحد كهوف كوردستان الغنية بالمعادن الثمينة

• الرصاص والزنك: يوجدان معاً شرق مدينة قلعة دزة.

• النيكل والكروم: متوقع وجودهما في جبل قلندر شرق قضاء رواندوز، وفي منطقة رايات.

• اليورانيوم والثوريوم: معدنان مشعان، ومؤشر وجودهما قرب قرية هلشو في قضاء قلعة دزة.

• الحديد: موجود في منطقتين هما أسناوة شرق قضاء بنجوين، وكاني ماسي شمال قضاء العمادية.

• وإلى جانب هذه الشواهد الفلزية، يمتلك الإقليم كميات هائلة من الصخور الصناعية: الحجر الكلسي، والجبس، والأطيان، والحصى والرمال. وهذه قد تكون البوابة الأسهل للاستثمار، لأنها تدخل مباشرة في صناعات الأسمنت والطابوق والجبسم بورد، وقد تحتوي الأطيان الحمراء على معادن طينية تُستخدم في حفر الآبار النفطية وأعمال الحقن في أساسات المشاريع الهندسية العملاقة.

لماذا لم تطلق استثمارات في هذا القطاع

هناك أربعة عوائق رئيسية تقف في طريق تحويل ثروات باطن الأرض من المعادن إلى مناجم منتجة:

1. غياب القانون المُنظم: لا يوجد تشريع قانوني خاص بقطاع التعدين يحدد حقوق المستثمر والتزامات الإقليم، والتشريع هذا شرط أساسي لجذب الاستثمارات كونه ينظم

الرخصة والحوافز والامتيازات والضرائب وغيرها.

2. الطبيعة الجغرافية: معظم الشواهد المعدنية تتركز في مناطق جبلية على الحدود مع إيران وتركيا، وهي مناطق تفتقر لبنى تحتية من طرق مناسبة لحركة الآليات الضخمة وكهرباء تساعد في انتقال الشركات إليها.

3. غياب الثقافة التعدينية: الإقليم وحتى العراق، ليس لديه تاريخ في موضوع المناجم. لذا، فإن العمل في هذا القطاع غير معروف والمخاطر المهنية تتطلب وعياً وتدريباً.

4. مخاطر بيئية: المناطق الحدودية، حيث تتركز المعادن، كانت مسرحاً لعمليات عسكرية سابقة. ملايين الألغام والمقذوفات غير المنفلقة لا تزال تشكل تهديداً حقيقياً للسلامة.

خطوات ضرورية

إذا أراد الإقليم تحويل هذه الثروات إلى قطاع اقتصادي حقيقي، فالطريق يمر ببعض الخطوات الضرورية:

- الإمكانات الجيولوجية موجودة. والطلب العالمي على المعادن في تصاعد. والعوائق معروفة وقابلة للحل. فما تبقى هي الإرادة لتحويل «الاحتمال الجيولوجي» إلى «مشروع اقتصادي».

- فإن توفرت التشريعات، وأُنشئت هيئة مختصة، وأُطلق برنامج للمسح والاستكشاف، فقد يصبح التعدين خلال سنوات قليلة رافعة اقتصادية مهمة. ●

نجفي يطاوع الحديد ويطمح للعالمية

حسين جنگير

شاعر وكاتب مسرحي

من الخردة

في عام 2018، وبين أزقة مدينة النجف، بدأ الشاب حسين داوود (مواليد 1995) رحلة غير مألوفة في الفن التشكيلي. لم تكن أدواته ألواناً أو فرشاً، بل خردة معدنية مهملة: براغٍ صغيرة، وقطع معدنية مختلفة الأشكال يلتقطها من مكبات النفايات. منها صاغ أولى مجسماته، بعدما اطلع على أساسيات التصميم من صفحات التواصل الاجتماعي والمواقع الفنية.

سرعان ما تحولت المحاولات البسيطة لحسين إلى شغف أدى إلى ظهور أعمال فنية، أولها كان تنيناً استوحى فكرته من مسلسل Game of Thrones، وصنعه من باب سيارة قديمة ومسامير. ثم توالت أعماله: أسد، وقط، ورأس ثور، ورأس ذئب، صنعها من إطارات السيارات والخردة المعدنية. لكن التحدي الأكبر كان حصاناً بطول مترين، أي حوالي ضعف الحجم الطبيعي للحصان. واستغرق إنجازه سنتين ونصف السنة، وكان محطة فارقة في مسيرته.

برنامجه اليومي

يعمل داوود يومياً بين خمس إلى ثماني ساعات، مستخدماً أدوات أساسية مثل مكائن اللحام والكوسرة. لكن انقطاع الكهرباء المستمر في مدينته يمثل أكبر عائق أمامه، إذ يعتمد عمله على معدات كهربائية لقطع المعادن ولحامها كما أن نقل أعماله الضخمة، التي يصل وزن بعضها إلى 600 كيلوغرام، يمثل تحدياً مالياً ولوجستياً، فيحتاج إلى شاحنات أو عربات صغيرة لنقلها.

وفي مقابلة مع «كوردستان بالعربي»، يقول داوود: «كلما كبر حجم العمل، برز فيه التصميم بشكل أوضح، لكن ذلك يعني أيضاً صعوبات أكبر في النقل والمشاركة بالمعارض». بالفعل، تعذر عليه المشاركة في معارض خارج النجف بسبب ضخامة أعماله وتكلفة السفر والنقل.

رسالة الفن والبيئة

لا يرى داوود أن أعماله مجرد فن بصري، بل رسالة بيئية. فهو يعيد تدوير ما يُلقى في مكبات الخردة ليمنحه قيمة جديدة، ويحول الإطارات التي تُحرق عادةً وتسبب تلوثاً إلى منحوتات فنية. يقول: «هذه الأعمال صديقة للبيئة، لأنها تمنع التلوث وتحوّل المواد التالفة إلى جمال».

يحلم داوود بدخول موسوعة غينيس للأرقام القياسية عبر أعمال عملاقة، ويعمل حالياً على تصميمات ضخمة في محافظات عدة، منها يد معدنية بحجم مترين في الديوانية، وثور معدني في الأنبار. كما يسعى للتواصل مع حكومة إقليم كوردستان لإقامة نصب للتعايش السلمي، مؤكداً أن الفن يمكن أن يكون جسراً بين المكونات العراقية.

حسين داوود جالس على كرسي صنعه من الخردة المعدنية

الصور: سجاد جميل

دعم شعبي وإهمال رسمي

ويوضح داوود تفاصيل عمله قائلاً: «يبدأ كل مشروع لدي برسم على الورق، ثم تصميم داخل إطار من قضبان الحديد لتحديد الشكل، ثم توزع الخردة على الإطار، وإبراز القطع المميزة مثل أجزاء المحركات أو قطع السيارات في أماكن بارزة لإضفاء جمالية خاصة عليها».

ويواصل حديثه عن دور التكنولوجيا في عمله، ويقول: «اليوم تُستخدم تقنيات حديثة مثل الطباعة ثلاثية الأبعاد والداتاشو لتحديد القياسات بدقة في الأعمال الكبيرة».

ويؤكد حسين أن أعماله «أصبحت مصدر رزق له، إذ أبيع التصاميم بأسعار لا تقل عن مليون دينار عراقي للعمل الواحد، نظراً للوقت والمواد التي تتطلبها».

وعن الدعم الذي يتلقاه، يوضح داوود أن الدعم من الناس معنوي بالدرجة الأولى، إذ يشجعونه على الاستمرار، وأحياناً يزودونه بالخردة، بينما الدعم الحكومي شبه معدوم.

ورداً على من يصف عمله بأنه «مجرد جمع خردة»، يقول داوود بثقة: «بهذه الخردة صنعت مجسمات بأحجام وألوان وأفكار مختلفة، ونلت شهرة واسعة. لقد صنعت شيئاً من لا شيء».

> في زمن تتراكم فيه الأزمات، يثبت هذا الفنان أن الجمال يمكن أن يولد من الخردة، وأن الإصرار يحوّل المعاناة إلى انتصار

طاقة إبداعية

الفنان سعد صالح، مدير مؤسسة رواق الثقافة والفن في محافظة النجف، يرى أن تجربة داوود «تمزج بين الحس الجمالي والرسالة البيئية، وتفتح باباً واسعاً أمام فن عراقي معاصر يخاطب العالم بلغة الحديد والإبداع».

أما الدكتور صلاح كريم عنوز من جامعة الكوفة، فيقول: «حسين داوود تجاوز معاناته عبر الفن، وحوّل الجوانب السلبية إلى طاقة إبداعية. إنه مثال على أن الإصرار والوعي بالذات يمكن أن يحوّلا الخردة إلى انتصار».

تجربة داوود تمثل خطاً متميزاً في الفن العراقي، وتستحق الدعم والتشجيع، لأنها تجمع بين الإبداع وحماية البيئة، وتفتح نافذة أمل لشباب يبحثون عن طريقهم وسط الصعوبات. وفي زمن تتراكم فيه الأزمات، يثبت هذا الفنان أن الجمال يمكن أن يولد من الخردة، وأن الإصرار يحوّل المعاناة إلى انتصار. ●

تدوير إبداعي

ميراث الحروب

كوردستان تطهر 65% من حقول الألغام

كوردستان العربي

تفادياً لمخاطرها على حياة المواطنين، وزيادةً لنسبة الأراضي المزروعة، وإنعاشاً لقطاع السياحة، خطا إقليم كوردستان خطوات كبيرة في سبيل التخلص من «ميراث الحروب» المتمثل بالألغام. ووفق الأرقام الواردة من الجهات الرسمية، تم القضاء على أكثر من 381 ألف لغم ومخلّف حربي، وبموجب ذلك طُهِّرت نحو 65%من الأراضي الملوثة.

الصور: المؤسسة العامة لشؤون الألغام

العثور على الألغام وإبطالها عملية في غاية الخطورة وتتطلب حرصاً شديداً للغاية

خدمةً للإنسانية

مع بزوغ الفجر، يستيقظ رزگار علي عبد الله في منزله البسيط المطل على تلال ومرتفعات تعكس جمال قمة جبل هلگورد الموشحة بثلوج الشتاء، يرتدي دروعه وخوذته الواقية، ويودّع أبناءه بقبلات حارة تشبه وداعاً أخيراً. بعد التوكل على الله، يمضي إلى معركته المتواصلة مع الألغام منذ ما يقارب أربعة عقود، قائلاً: «نخوض معركة صعبة ضد عدوٍّ ما زال يحصد أرواح السياح وأبناء البلد الأبرياء».

عبد الله، من مواليد 1977، يسكن قضاء چومان قرب الحدود العراقية - الإيرانية (على بعد 25 كيلومتراً)، وهي منطقة جبلية تضم جبل هلگورد الذي يبلغ ارتفاعه 3607 أمتار ضمن سلسلة جبال حصاروست. ويقول، في حديثه لمجلة «كوردستان بالعربي» إن هذه المهنة ليست لكل شخص، بسبب الرعب الكامن في حقول الألغام، مضيفاً: «في كثير من الأحيان لا يفصلنا عن الموت سوى ثوانٍ».

ويؤكد أن العامل في قطاع إزالة الألغام يخرج من بيته مطمئناً، «لكنه لا يملك ضماناً بالعودة... لقد فقدت خلال مسيرتي أصدقاء عمل كنا أكلنا وشربنا معاً، وتعرض كثيرون لإصابات وإعاقات، لكننا نواصل المسيرة خدمةً للإنسانية».

وخلال 38 عاماً من العمل، جاب عبد الله معظم جبال ووديان منطقته، مرتدياً معدات الحماية ومعتمداً على الأجهزة التقنية في الكشف عن الألغام، غير آبه بحرارة الصيف أو برد الشتاء، فضلاً عن مخاطر السقوط من المرتفعات أو مواجهة الحيوانات البرية المفترسة.

ويقع قضاء چومان ضمن منطقة بالَكايَتي المعروفة بطبيعتها الخلابة ومصايفها وشلالاتها، وقد أسهمت جهود إزالة الألغام في تحويلها إلى مقصد سياحي.

ويتذكر عبد الله كيف حوّلت الألغام المزروعة على طول الشريط الحدودي منذ ثمانينات القرن الماضي المنطقة إلى «جزيرة أشباح» هجَرها السياح وعجز المزارعون عن حراثة أراضيهم. لذا، فإنه يطالب الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كوردستان ببذل جهود أكبر لدعم العاملين في قطاع الألغام، معتبراً أنهم «ضحايا لم يُنصفوا».

أعداد كبيرة من الضحايا

وفقاً لبيانات دائرة الأمم المتحدة للأعمال المتعلقة بالألغام (UNMAS)، يتعرض نحو 100 مليون شخص حول العالم لخطر الألغام والمتفجرات.

ويُعد العراق من أكثر الدول تلوثاً بها، إذ تبلغ مساحة الأراضي الملوثة نحو 2733 كيلومتراً مربعاً، منها 26% أراضٍ زراعية، و20% بنى تحتية، و19% طرق، فيما يمنع 22% من التلوث الوصول إلى مصادر للمياه. وقد خلّفت الألغام ومخلّفات الحروب أكثر من 35 ألفاً و500 ضحية، بحسب دائرة شؤون الألغام في وزارة البيئة العراقية.

وتشير إحصاءات وزارة البيئة إلى وجود نحو 25 مليون لغم منتشر في أربعة آلاف حقل، إضافة إلى أكثر من 25 مليون مخلّف حربي وقنبلة غير منفلقة. بينما تقدّر الأمم

المتحدة العدد بنحو 20 مليون لغم وأكثر من مليونين و660 ألف قنبلة غير منفلقة، يعمل العراق على إزالتها وفق الاتفاقيات الدولية (أوتاوا، أوسلو، CCW)، لا سيما اتفاقية أوتاوا التي منحت العراق مهلة حتى نهاية عام 2028.

أما في إقليم كوردستان، فيوضح علي ميران، المدير العام للشؤون الفنية في المؤسسة العامة لشؤون الألغام، في حديث مع «كوردستان بالعربي»، أن المسح الشامل المنجز بين عامي 2004 و2006 (ILIS) أظهر وجود 776 كيلومتراً مربعاً من الأراضي الملوثة في محافظات الإقليم، تم تطهير 559 كيلومتراً مربعاً منها، فيما تبقى نحو 210 كيلومترات مربعة.

وأكد ميران أن الإقليم أزال نحو 72% من الألغام والمخلّفات الحربية، مع استمرار الجهود لتطهير ما تبقى.

وتسببت الألغام المزروعة في كوردستان، سواء المضادة للأفراد أو للدروع، في وقوع 13 ألفاً و610 ضحايا بين قتيل وجريح، بينهم 49 من العاملين في إزالة الألغام.

تطهير 65% من المساحة الملوثة

تمتد جذور مشكلة الألغام في العراق وكوردستان لأكثر من نصف قرن، نتيجة النزاعات والحروب المتعاقبة، وكانت حصة محافظات الإقليم (أربيل، والسليمانية، ودهوك، وحلبجة) منها كبيرة، إضافة إلى محافظات جنوبية مثل البصرة والمثنى وذي قار. وتقدّر منظمة الصليب الأحمر الدولي المساحة المزروعة بالألغام بنحو 300 ألف ملعب كرة قدم.

ويؤكد جبار مصطفى، رئيس المؤسسة العامة لشؤون الألغام، في تصريح لـ«كوردستان بالعربي»، تطهير ما نسبته بين 60% و65% من المساحات الملوثة في الإقليم، مع الطموح لإنجاز التطهير الكامل خلال السنوات المقبلة.

إجمالي المناطق المطهرة من الألغام

وخلال عام 2025، بلغت المساحة الإجمالية التي جرى تطهيرها أكثر من مليونين و716 ألفاً و250 متراً مربعاً، ضمن 53 حقلاً (38 حقل ألغام و15 أرض معركة)، أُزيل خلالها 2997 لغماً مضاداً للأفراد والدروع، و26 ألفاً و42 مخلّفاً حربياً بينها 40 عبوة ناسفة.

وتوزعت المساحات المطهرة على أربيل (بـ800 ألف و795 متراً مربعاً)، والسليمانية (بـ449 ألفاً و176 متراً مربعاً)، ودهوك (بـ315 ألفاً و423 متراً مربعاً)، وحلبجة (بـ137 ألفاً و882 متراً مربعاً)، فضلاً عن إدارة گرميان (بـ358 ألفاً و964 متراً مربعاً).

وقد أسهمت إزالة الألغام في توسيع الرقعة القابلة للاستثمار الزراعي والسياحي، ما انعكس إيجاباً على الإنتاج الزراعي وزيادة أعداد السياح.

وسجل الإقليم خلال العام الماضي 18 حادثة ناجمة عن الألغام والمتفجرات، أسفرت عن 29 ضحية (17 قتيلاً و12 جريحاً)، مقارنة بـ11 حادثة في العام الذي سبقه. ●

بعض الألغام والمتفجرات التي عثرت عليها من قبل كوادر مؤسسة الألغام في كوردستان

جروانة

التخطيط لمستقبل المياه قبل 3000 عام

محمد درگليي

مصور وصحفي

الصور: محمد درگليي

في قلب كوردستان وبمحافظة دهوك، يرقد شاهد صامت على واحدة من الثورات الهندسية في التاريخ القديم. إنه سد جروانة، الذي لا يعد مجرد بقايا جدران مبنية من الحجارة، بل هو أحد أقدم السدود المعروفة في العالم بُني بتخطيط هندسي متقن. شُيّد في عهد الملك الآشوري القوي سنحاريب (حوالي 705 - 681 ق.م)، لم يكن هذا الصرح مجرد حاجز لمنع حركة المياه، بل كان القلب النابض لمشروع ري ضخم وطموح يهدف إلى ري بساتين نينوى وتزويد قصورها بالمياه، ليجسد رؤية حضارية سبقت عصرها بآلاف السنين.

حكاية حجر وزمن

في فترة لم تكن فيها الحفارات الضخمة أو المحركات، شرع الملك سنحاريب في تنفيذ مشروع جروانة. وتكشف لنا التفاصيل الدقيقة عن ضخامة هذا الإنجاز الذي تم إكماله في عام وثلاثة أشهر فقط، كما سُجلت كتابات مسمارية على حجارة السد نفسه، كوثيقة تاريخية تسجل تفاصيل التشييد. وتؤكد هذه النقوش مدة البناء القصيرة، وتكشف عن تفاصيل بشريّة مذهلة، إذ تشير إلى أن القوى العاملة التي بنت السد كانت من سكان أورشليم (القدس)، مما يفتح نافذة على حركة السكان والمهارات في الإمبراطورية الآشورية.

بناء السد تطلب استخراج وتشكيل مليوني قطعة حجرية، تزن كل واحدة منها من ربع إلى نصف طن. وأبعاد السد تروي قصة المُنجز؛ فطوله يبلغ 280 متراً (نحو طول ثلاثة ملاعب كرة قدم متصلة)، وعرضه 22 متراً، وارتفاعه تسعة أمتار، وهو ارتفاع لافت بالنسبة لتقنيات ذلك العصر. تم نقل هذه الحجارة الضخمة من الجبال المقابلة عبر النهر باستخدام القوارب إلى ميناء صغير لا تزال آثاره مرئية، ومن هناك نُقلت بالعربات إلى موقع البناء.

شريان الحياة الآشوري

سد جروانة كان العقدة الرئيسية في شبكة مائية متطورة. وقد صُمم لنقل المياه من منطقة «خنس»، (المعروفة تاريخياً باسم خانوسا، والتي بناها سنحاريب أيضاً كمنتجع صيفي)، إلى عاصمته البعيدة نوعاً ما، نينوى. تم جلب المياه عبر قناة أو ممر مائي يبلغ طوله 40 كيلومتراً، ليس فقط لتلبية احتياجات القصر الملكي، بل أيضاً لري الأراضي الزراعية ودعم الزراعة في المنطقة. هذا المشروع يضع جروانة في سياق سياسة مائية استراتيجية اتبعها سنحاريب لتعزيز قوة واكتفاء إمبراطوريته.

جهود للترميم بتعاون إيطالي

في إطار الجهود الرامية إلى حماية سد جروانه بوصفه إرثاً حضارياً يعود إلى آلاف السنين، أجرت «كوردستان بالعربي» حواراً مع الدكتور بيكَس بريفكاني، المدير العام لآثار دهوك، للوقوف على الخطوات المتخذة لصون الموقع وتأهيله.

وقال بريفكاني إن «المديرية أنجزت، خلال العامين الماضيين، أعمال تنظيف شاملة للموقع، وأن مرحلة التأهيل ستنطلق مع بداية شهر فبراير 2026»، لافتاً إلى أن الموقع شهد في فترات سابقة أعمال تنقيب علمية نفذتها جامعة أوديني الإيطالية.

وأوضح بريفكاني أن خطة التأهيل «تتضمن حزمة من

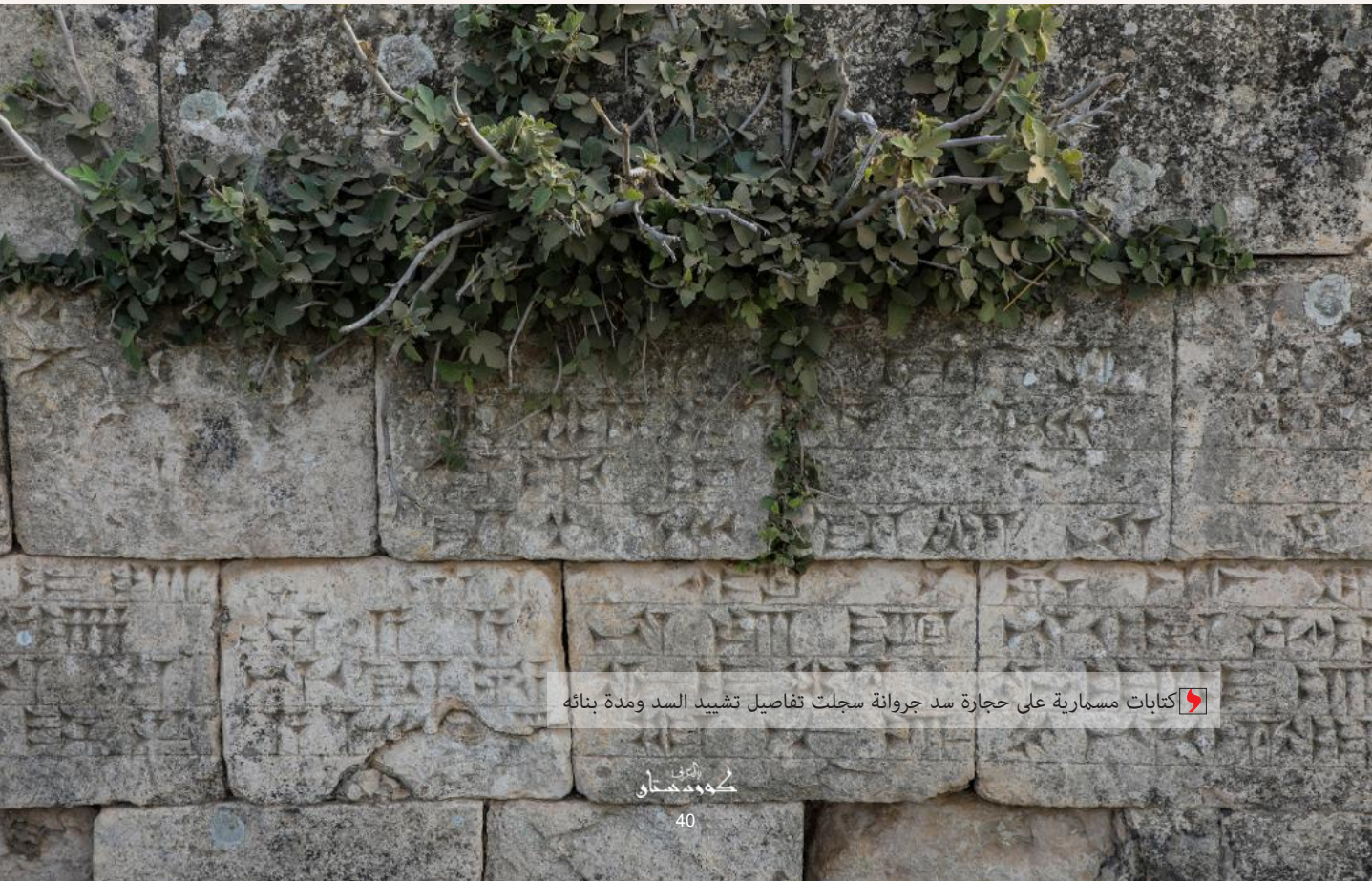

كتابات مسمارية على حجارة سد جروانة سجلت تفاصيل تشييد السد ومدة بنائه

بناء السد تطلب استخراج وتشكيل مليوني قطعة حجرية، تزن كل واحدة منها من ربع إلى نصف طن

الإجراءات الفنية والتنظيمية، أبرزها ترميم النقوش الأثرية، وإنشاء مسار خاص يسهّل حركة الزوار، إلى جانب نصب لوحات تعريفية توفر شرحاً وافياً عن الموقع وأهميته التاريخية، وتسييج الموقع من الجهات الأربع، وتهيئة نقطة مشاهدة للزوار من على إحدى المرتفعات القريبة لرؤية موقع جروانه بوضوح».

وأكد بريفكاني أن جميع هذه الجهود، سواء المنجزة أو المقررة مستقبلاً، تصب في هدف استراتيجي يتمثل في إدراج موقع جروانه ضمن قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونيسكو، مبيناً لـ«كوردستان بالعربي» أن مديرية آثار دهوك بدأت منذ عام 2018 بالتحضير لإدراج عدد من المواقع الأثرية في محافظة دهوك ضمن قائمة اليونيسكو، كان موقع جروانة أحدها، إلا أن الحكومة العراقية تحجب موافقتها حتى الآن رغم عرض الملف عليها مرتين خلال عامي 2018 و2023. وذلك بحجة ضرورة دمج هذه المواقع مع مواقع محافظة نينوى ضمن ملف واحد.

وقد جرى بالفعل دمج ملف جروانه بملفات أربعة مواقع أثرية ضمن مشروع الري الآشوري، وهي جروانة، خنس، حلمتا، وفايدة، بوصفها مشروعاً متكاملاً يمتد من دهوك إلى نينوى بطول يقارب 340 كيلومتراً، بهدف تقديمه إلى اليونيسكو كملف واحد.

المُفرح في قصة جروانه، أن رئيس بعثة اليونيسكو في العراق، زار محافظة دهوك، وبعد اطلاعه على ملف جروانه، وطلب دعم المنظمة الدولية لحماية الموقع، أبدى استعداد المنظمة الكامل للتعاون في هذا المجال.

إرث الماضي وتحديات الحاضر

ظل سد جروانة منسياً لقرون تحت طبقات من الغطاء النباتي والإهمال. اكتشف لأول مرة منقوصاً عام 1845، تلته عملية أوسع من قبل بعثة جامعة شيكاغو عام 1934، التي كشفت بالتفصيل عن روعة هذا الإنجاز الهندسي وربطته بمشروع الري الأشمل للملك سنحاريب. اليوم، لا يزال أكثر أجزاء السد قائماً شاهداً على دقة بنائه الهندسي.

> فهم الآشوريون قبل آلاف الأعوام أن التحكم في الماء هو أساس كل شيء

لقد فهم الآشوريون قبل آلاف الأعوام أن التحكم في الماء هو أساس كل شيء، وأن إعادة إحياء هذا الموقع اليوم، ليست مجرد حفظ لموقع أثري، بل هي إعادة اتصال بفلسفة عميقة في التعامل مع البيئة والتحديات. بينما تستعد أحجار جروانة، بعد صمودها ثلاثة آلاف عام، لاستقبال زوار من جميع أنحاء العالم، فإنها تروي لكل من يراها قصة حضارة لم تُبنَ بالإمبراطوريات وحدها، بل بالماء والحجر والإرادة. ●

«أمنه سورَكه»

من مُعتقل إلى متحف ومنصة للتوعية

باسل الخطيب

صحفي عراقي

الصورة: ناصح علي خياط

في قلب مدينة السليمانية بإقليم كوردستان ينتصب مبنى أحمر، يطلق عليه أهل المدينة بالكوردية اسم «أمنه سورَكه» الذي يعني مبنى «الأمن الأحمر». شيّده مهندسون من ألمانيا الشرقية ليكون حصناً لدائرة الأمن بين 1979 و1991. وخلف جدرانه الخشبية الكاتمة للصرخات، مر آلاف الكورد بمحنة لا توصف. ومع انتفاضة آذار 1991، تحصّن داخله نحو 800 جندي وعنصر أمن، قبل أن يُستهدف ويُقتحم لتحرير المعتقلين. في تلك اللحظة، دوّت الإعدامات الميدانية التي طالت 300 من عناصر الأمن، بينهم 21 أُعدموا على يد أمهات ثكالى ثأراً لأبنائهن. منذ ذلك اليوم، تحولت البناية إلى متحف للذاكرة، ولا تزال آثار الرصاص على جدرانه شاهداً صامتاً على تاريخ من القمع والتحرر.

الصورة: سفين حميد

تمثال توضيحي لأحد أنواع التعذيب التي كانت تمارس في سجن مبنى الأمن الأحمر

قاعة المرايا ومكتب علي الكيمياوي

في إحدى زوايا المبنى، لا يزال مكتب علي حسن المجيد - ابن عم صدام حسين، والمهندس الحقيقي لحملات الأنفال - هناك كأنه لم يرحل، لكن شيئاً مختلفاً يعلو المكتب: دمية معلقة بالسقف، مُكبلة اليدين مع أوزان تتدلى من قدميها. هي ليست مجرد دمية، بل تجسيد صامت لآلاف الذين علقوا هكذا، ساعات وأياماً، بينما كانت صرخاتهم تموت خلف جدران صممت لكتم الصرخات.

وفي الجوار، زنزانة ضيقة من بضعة أمتار، كتب أحدهم قصته على أحد جدرانها ورسم فراشات ربما للتعبير عن حلمه بالحرية، قبل أن يُنقَل إلى معتقل آخر ويُعدم. المعتقلون كانوا يهرّبون الأقلام كأنها أكاسير الحياة، ويتناوبون عليها للكتابة على الجدران.

«قاعة المرايا»، الرواق الهادئ الذي تغطي جدرانه 182 ألف قطعة زجاج عاكس، في كل قطعة، يمكنك أن ترى وجهك. لكنك، إن تأملت قليلاً، سترى خلف وجهك وجوهاً أخرى: 182 ألفاً من ضحايا الأنفال، الذين غالبيتهم لم يعثر لهم على قبور. وإلى الأعلى حيث السقف ترى 4500 مصباحاً تتلألأ كالنجوم. لكنها ليست نجوماً، بل أرواح 4500 قرية سُوِّيت بالأرض، ومسحت من الخارطة، وبقي منها أسماؤها تلمع هنا في السقف.

وعندما تخرج إلى الباحة، تفاجئك الدبابات والمدفعية السوفييتية التي تركها الجيش العراقي. لم تعد أدوات موت، وبإمكان الزوار تسلقها والتقاط الصور أمامها.. تحولت، كما تحول المكان كله، من رمز للقهر إلى النقيض.

الشاعر السوري المعروف أدونيس، زار المكان عام 2009 ودوّن في سجلاته: «في كل زاوية من الأمن الأحمر، سؤالٌ ينعصر العراق بين أسنانه... تحوّلت البناية عملاً فنياً لتمجيد الإنسان، ومنارة لأخلاق العمل والنضال».

شهادات من تحت الأرض

وللوقوف على حجم المعاناة التي كان يعانيها المعتقلون فيها ظلماً وتعسفاً، رأت «كوردستان بالعربي» أن تلتقي ببعض منهم لأخذ شهاداتهم المؤلمة؛ مثل المهندس تحسين قادر علي الذي كان في التاسعة والعشرين حين اعتُقل عام 1988. يروي للمجلة كيف أن أزلام النظام السابق علّقوه من يديه في سقف غرفة التعذيب، «وأضافوا أوزاناً تصل إلى ثلاثين كيلوغراماً إلى قدمي. ضربوني بالسياط وكابلات الكهرباء.. لدرجة أنني حتى هذه اللحظة، أحمل معي آثار ما تعرضت له من تعذيب».

اعتُقل تحسين مع ثلاثين من رفاقه من عصبة كادحي

كوردستان، خمسة منهم نُفِّذَت بحقهم عقوبة الإعدام. ويستذكر لحظة الوداع الأخيرة مع أحمد حمادي، أحد الشيوعيين من محافظة الحلة، الذي قال له قبل الإعدام: «عيني تحسين، ستخرجون وتفرحون... كلّي أمل أن تتذكرونا».

أما الإعلامي كاروان أنور، فيروي لـ«كوردستان بالعربي» قصته وقصة أسرته وأقربائه مع هذا المعتقل، قائلاً: «والدي المعلم شيخ أنور فُصل من الوظيفة واعتقل في (أمنه سورَكه) سنة 1988.. وقبيل اعتقاله، حذرني قائلاً: أخواتك في خطر». لذا، وخشية اعتقالهن، هرّبتهن إلى الموصل، وتركت والدتي وشقيقي الصغير شڤان الذي كان عمره ثلاث سنوات في المنزل. لم أكن أعلم أنني سوف لن أراهم إلا بعد أربعة أشهر».

وأضاف كاروان أنه «كما توقع والدي، اعتُقلت والدتي وشقيقي بعد أيام قليلة، وضعوهما في قاعة صغيرة مع نحو 120 امرأة وطفلاً، غالبيتهم من معتقلي حملات الأنفال، ثم نُقلوا إلى سجن أمن أربيل، ومنه إلى مخيم اعتقال في ناحية بحركة التابعة لأربيل.. لم أستطع إنقاذهم إلا بدفع رشوة لأحد أعوان النظام المتنفذين، واستعدتهم بعد أربعة أشهر ونقلتهم إلى مدينة الموصل تخفياً عن أعين الحكومة ومراقبتها». لكن كثيرين ممن اعتقلوا في تلك الفترة لم يكتب لهم النجاة كما حصل مع أسرة الإعلامي كاروان أنور، بينهم أقرباء له كان مصيرهم النفي جنوباً والإعدام سراً.

> زنزانة ضيقة من بضعة أمتار، كتب أحدهم قصته على أحد جدرانها ورسم فراشات ربما للتعبير عن حلمه بالحرية، قبل أن يُنقَل إلى معتقل آخر ويُعدم

المتحف اليوم

لم يعد «أمنه سورَكه» مجرد شاهد على الماضي، بل أصبح منصة للتثقيف حول حقوق الإنسان والذاكرة الجماعية، تستقبل قاعاته آلاف الزوار سنوياً بينهم طلاب يقصدونه للتعرف على تاريخ الأنفال وتجارب المعتقلين. وتنظم فيه ندوات ومعارض فنية. بالنسبة لأجيال لم تعش تلك الحقبة، يمثل المتحف وسيلة لفهم ما جرى ورسالة بأن التذكر هو شكل من أشكال المقاومة ضد النسيان. المبنى ليس مجرد متحف، بل ذاكرة جماعية للكورد وشاهد على أن الشعوب التي تحفظ تاريخها وتروي قصصها لا تموت، بل تمنح الأجيال القادمة قوةً لمواجهة المستقبل.

الصورة: سفين حميد

عمل فني آخر تظهر إحدى عمليات التعذيب في المبنى

الصورة: KRG

ربيع كوردستان
أعياد تجسد قيم السلام والتعايش

الصورة: سفين حميد

أحيا شعب كوردستان في شهري آذار ونيسان من العام الحالي أعياد«نوروز»رأس السنة الكوردية و«أكيتو» رأس السنة البابلية الآشورية و«سَرسال» رأس السنة الإيزيدية.

وتزامنت هذه المناسبات مع التوترات التي تشهدها المنطقة والعالم مما جعل الاحتفالات في إقليم كوردستان تقتصر على مراسم محدودة ورمزية من دون إقامة احتفالات واسعة، لكنها حملت في الوقت ذاته رسائل تؤكد قيم السلام والاستقرار والعيش المشترك وضرورة إيجاد حل سلمي وعادل لقضية الشعب الكوردي واحترام حقه في تقرير المصير وضمان حقوق جميع المكونات.

وبهذه المناسبة شدد الرئيس مسعود بارزاني على أهمية السلام والتعايش المشترك والحل السلمي للقضية الكوردية، إذ أكد بارزاني في رسالة تهنئة بعيد نوروز قائلاً: «في هذا الظرف الحساس والتاريخي، تتجلى الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى ضرورة تنسيق وتعاون القوى السياسية والعمل معاً لدعم مصالح وطننا وتعزيز أمنه واستقراره».

وأعرب بارزاني عن أمله في أن يكون نوروز هذا العام «بداية لتحقيق المزيد من التلاحم والأخوة بين الأطراف السياسية، وأن يحتفل شعب كوردستان العزيز بهذا العيد وسائر الأعياد الأخرى بسعادة وهناء. كما أتمنى أن تنعم شعوب المنطقة بالعيش في سلام وطمأنينة بعيداً عن الحروب والتوترات والاضطرابات».

ويشهد إقليم كوردستان سنوياً في شهري آذار ونيسان إقامة احتفالات ومهرجانات واسعة على الصعيدين الرسمي والشعبي احتفاء بحلول عيد نوروز وعيد أكيتو وعيد سرسال. وبالإضافة إلى مواطني إقليم كوردستان، تشارك فيها البعثات الدبلوماسية والمؤسسات الثقافية فضلاً عن قدوم آلاف الأشخاص من الخارج للمشاركة في هذه الاحتفالات. لكن، وبسبب من التوترات الإقليمية والدولية، اقتصرت احتفالات هذا العام على إقامة مراسم محدودة ورمزية.

نوروز

بالنسبة لشعب كوردستان يعتبر بداية أمل جديد ورمزاً للانتصار على الظلم وقد ترسخ هذا المعنى في تاريخ شعب كوردستان كقيمة ثقافية لمواصلة النضال من أجل تحقيق الحرية والسلام.

أكيتو

رأس السنة لدى الأكديين والبابليين والآشوريين من بعدهم ويبدأ في اليوم الأول من شهر نيسان ويعود هذا الاحتفال إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ويرمز لبداية الربيع وتجدد الحياة وموسم الحصاد، ويمتد الاحتفال لعدة أيام وسط طقوس فولكلورية وملابس تراثية.

سَرسال

يصادف عيد سرسال أول يوم أربعاء من شهر نيسان بحسب التقويم الشرقي ويأتي العيد احتفاءً بتجدد الطبيعة ويمثل بداية خلق الكون في الميثولوجيا الإيزيدية.

ورغم التمايز القومي والديني لأعياد «نوروز» الكوردية و«أكيتو» البابلية الآشورية و«سرسال» الإيزيدية، إلا أنها تشترك في جوانبها الإنسانية والبيئية وفي التعبير عن تجدد الحياة والطبيعة، فضلاً عن إقامة الاحتفالات الشعبية الواسعة بهذه الأعياد وسط الطبيعة التي تسهم في ترسيخ التماسك الاجتماعي.

الصورة: سفين حميد

فرقة دهوك في «سوراجكوند» الهندي

رحلة للاحتفاء بالتراث والإبداع

قدمت فرقة دهوك للفنون الشعبية عروضاً تراثية متنوعة في مهرجان «سوراجكوند» الدولي للفنون الشعبية والحرف اليدوية، الذي يُقام سنوياً في دولة الهند، بمشاركة فرق فنية من 44 دولة من مختلف أنحاء العالم. وشهدت مدينة فريد آباد الهندية فعاليات النسخة الـ39 من المهرجان، الذي استمر لمدة أسبوعين من الأنشطة الفنية والثقافية والتراثية بمشاركة واسعة لمختلف الشعوب والمكونات. وجاءت مشاركة فرقة دهوك في هذه الفعالية ممثلةً عن إقليم كوردستان، للتعريف بالتراث والفن الكورديين عبر هذه المنصة العالمية.

وقال أحمد مشختي، رئيس فرقة دهوك للفنون الشعبية، إن «لمهرجان سوراجكوند الدولي أهمية كبيرة في التعريف بالثقافة والتراث والإبداع الإنساني للعالم»، مبيناً أن فرقته قدمت خلال المهرجان عروضاً فنية من التراث الغنائي والرقص الكوردي الأصيل، تحمل دلالات تعبر عن الطبيعة والتاريخ والثقافة والمجتمع الكوردستاني» وأشار إلى أن الأعمال التي قدمتها الفرقة لم تنحصر في إطار العروض الكوردية فحسب، بل شملت ثقافة وتراث جميع المكونات القومية والدينية في كوردستان.

وأجرت الفرقة حوارات ولقاءات مع الفرق المشاركة والمسؤولين للتعريف بالفن والثقافة الكوردية، وأكد مشختي خلال حوار له مع «كوردستان بالعربي» أن «لغة الفن والموسيقى جسر مهم للتواصل بين الشعوب» موضحاً أن «الرقص فن تعبيري بلغة الجسد، بدلالات تحمل معاني التاريخ والأمل والحياة، وهو لغة تجمع بين شعوب العالم».

يُعد مهرجان «سوراجكوند» الدولي للحرف اليدوية (Surajkund Crafts Mela) حدثاً ثقافياً سنوياً بارزاً يُقام في شهر شباط، ويُبرز الرقصات الشعبية التقليدية والفنون والموسيقى الأصيلة، إلى جانب الحرف اليدوية والمأكولات، ويشارك فيه فنانون محليون ودوليون، مما يجعله مزيجاً ثقافياً حياً.

ويمتلك الشعب الكوردي إرثاً فنياً غنياً في مجالي الغناء والرقص الشعبي، اللذين يعبران عن مختلف جوانب حياة الإنسان وطبيعة المنطقة؛ حيث تجسد كل رقصة بإيقاعها الخاص قصص الحب والأمل والآلام. ويوضح أحمد مشختي أنه خلال الأعوام الماضية أُجريت العديد من البحوث العلمية لتوثيق فنون الرقص الكوردية حفاظاً على هذا التراث الإنساني الأصيل.

وأشار رئيس فرقة دهوك للفنون الشعبية إلى أن فن الرقص يُعد جزءاً حيوياً من الحياة الثقافية والاجتماعية الكوردية، وقد لعبت طبيعة كوردستان وأجواؤها الخلابة دوراً بارزاً في تنوعه، موضحاً أنه يمكن تصنيف الرقص الكوردي إلى نوعين رئيسيين؛ الأول يُؤدَّى بأسلوب وحركات وإيقاعات موحدة في جميع المناطق، والآخر، مرتبط بأسلوب محلي خاص بمنطقة معينة.

ووفقاً لمشختي، فإن الاهتمام بالجوانب الثقافية والتراثية أخذ بعداً عالمياً باعتباره عنصراً مهماً للتعريف بعراقة الشعوب ووجودها وحيويتها، مؤكداً على ضرورة مواكبة التطورات التي يشهدها العالم واستغلال أدوات التواصل الحديثة للتعريف بثقافة وتراث شعب كوردستان للعالم . ●

برادر

أنشدَ للحرية ودخل السجن من أجلها

جان دوست

كاتب وروائي

من وسط الفقر والمجالس الريفية الصاخبة التي يزينها شاي الحطب في ليالي الشتاء، إلى أسطح المنازل في الصيف حيث تنهمر الأغاني بعفوية على ضوء النجوم، ومن مقاعد المدارس إلى سجون وان، ومن دروب الغابات والهروب بعد انقلاب 1980 إلى خشبات المسرح في هولندا... يمتدّ صوت الفنان الكوردي برادَرْ Birader كحكاية قومية وموسيقية وإنسانية، تروي وجع الكوردي، ووعيه، ومقاومته من أجل الحرية.

برادر ليس فناناً قادماً من أكاديميات الفن والغناء. بل هو ابن بيئة بسيطة ولد في قرية من قرى ماردين، نهل من ثقافة والده الغنائية، وتغذّى بالوعي القومي مبكراً، وعاش السجن والمنفى وخوف الملاحقة. شارك في الحركة الثقافية الكوردية وأبدع في الغناء والتلحين والتمثيل، من دون أن يفقد روحه الطفولية النقية التي خطّت ملامحه الأولى على «زمارة» أو كما يطلق عليها بالكوردية «توتوك». أدناه حوار مطوّل أجرته مجلة «كوردستان بالعربي» مع الفنان برادر، الذي فتح قلبه وحكايته كاملة، من دون مواربة ولا اختصار.

ذاك المجلس الذي كوّنني

«كان مجلس أبي عامراً كل ليلة»، يقول الفنان بهدوئه المعهود ونبرته القوية، خاصةً في ليالي الشتاء، إذ يبقى موقد الحطب مشتعلاً حتى الفجر، وفوقه إبريق الشاي. ويأتي القرويون إلى المجلس بالحطب والسكر والشاي. «كنت أحضر تلك المجالس حتى نهايتها بينما كان إخوتي ينامون. أتذكر كلمات بعض الزوار الكبار يخاطبونني: اذهب إلى النوم. لكن والدي كان يرد: دعوه. إنه يشتري الآن، وسيأتي يوم ليبيع هو أيضاً»، وكان يقصد أنني أتعلم من هذه المجالس ما سينفعني في المستقبل.

كان والدي يغني لجلسائه، يحكي لهم القصص والنوادر. وكان قد خدم في صفوف الجيش العثماني في كركوك، وكثيراً ما كان يحدّث جلساءه عن تلك المدينة.

طفولة الغصّات... وأغاني النجوم

وعن طفولته يقول برادر «عشنا طفولة قاسية. لكنها لم تخلُ من لحظات السعادة البريئة. كنا نتجول في التلال القريبة من قريتنا لنجمع أعشاب الربيع ونقطف البلوط. كنا ننحت الحجارة على شكل كرات صغيرة لنلعب بها، حفاة، من دون أن يهمنا ذلك».

ويضيف: «في ليالي الصيف، حين كنا ننام على الأسطح، كنت أحدّق في النجوم، فيجيش صدري بالأغاني. وأغني ما يخطر على بالي. كان عمي ينهرني، لكن والدي كان يقول: فليغنِ الولد. دعه يغني. كان ذلك قبل أن ألتحق بالمدرسة. حتى أنني بدأت بتأليف كلمات أغان ومن ثم غنائها بنفسي».

برادر يعزف على آلة الطنبور أيام شبابه

كان والدي يغني أغنية بعنوان «شيخي زراڤ» أو «الشيخ النحيل»، عن الشيخ محمود الحفيد وثورته ضد الإنكليز، وهي بالأصل أغنية لكاويس آغا، وفيها جملة مثيرة تقول إن «الكورد خونة».

وحين قاطعناه لنذكر أن البارزاني الراحل كان يحب كاويس آغا وأغانيه لكنه كان يعترض على تلك العبارة تحديداً، أجاب: «الذي سلّم الشيخ محمود إلى الضابط الإنكليزي كان رجلاً كوردياً. وربما كاويس آغا يقصده بالذات».

زمارة بدل الحذاء... وبزوغ الهوية

أما عن أول آلة موسيقية امتلكها برادر، فيقول: «في طفولتي، وقبل أن ألتحق بالمدرسة، اشتريت زمّارة (توتوك) من بائع متجول، بعد أن بادلته حذائي البلاستيكي بها. دخلت عالم الموسيقى ابتداءً من تلك الزمارة».

وفي أعوام السبعينات، حين هبّت رياح الوعي القومي الثوري، تخلص الشباب نسبياً من آثار الصهر القومي «الذي تعرضنا له في المدرسة. كان للطلاب دور بارز في نشر الوعي، امتداداً لحركة 1949 التي كان من أبرز رموزها الكاتب موسى عنتر في دياربكر. كما أثّرت ثورة أيلول في كوردستان العراق على وعينا». ويضيف برادر عن هذه الحقبة: «كانت صورة المقاتلة الأيقونية مارغريت جورج معلّقة في بيتنا ضمن إطار زجاجي، وكان الناس يخلطون بينها وبين البطلة الشهيدة ليلى قاسم. لكننا عرفنا لاحقاً أنها مقاتلة آشورية في صفوف البيشمركة».

من الكلاسيك إلى الطنبور... ومن المدرسة إلى السجن

يقول برادر إنه في الحفلات المدرسية، كان يغني بالتركية لمغنين مثل يونس أمراه وداوود سولاري. «وكانت معلمة الموسيقى توجهني للغناء الكلاسيكي، بينما كانت هناك معلمة من أورفة تقول إن اللون الشعبي أنسب لي. فكنت حائراً بينهما».

وفي عمر 16 عاماً، أصبح برادر مسؤول البث المدرسي في المرحلة الإعدادية. «ومع نهاية العام، افتتحت معرضاً مدرسياً منوعاً، فيه مسرح ومنصة للغناء ومكتبة».

لكن النشاط الطلابي لم يخلُ من التبعات، فقد تعرّض 8 من زملائه للنفي. «قمنا بالاحتجاج، فجاءت الشرطة واعتقلتني مع زميل لي بسيارة جيب عسكرية تمهيداً لنفينا. لكن شقيقي الأكبر تدخل ومنع ذلك».

أكمل برادر الدراسة في مدينة «وان». وفي تلك المرحلة، عادت والدته من الحج ومعها آلة تسجيل. فبدأ يستمع ويدوّن صوته وعزفه على آلة الطنبور. «كنت أردد أغاني شڤان، وجوتيار، وفريد أوزون، وآرام تيكران. لم أحب تقليد أحد، وكنت أحاول أن أغني مثل والدي. لكنني تأثرت أيضاً بالمغني عاشق شريف محسوني، وعاشق أحمد التركي، والمطرب زَماني». (كلمة «عاشق» تطلق في الكوردية والتركية على كل من يغني أغاني الغزل).

وفي شتاء 1976، اعتُقل برادر قبل أن يبلغ الثامنة عشرة. وبقي رهن التحقيق والحجز، لمدة شهر، «ثم نقلوني إلى المحكمة، وانتظروا بلوغي السن القانونية لإرسالي إلى السجن».

برادر محاطاً بأفراد عائلته

أغنية الوطن... في زنزانة «وان»

ركز المحققون معه على أغنية «ولات كانيا زيّرايه» (الوطن نبع الذهب) التي كان يغنيها فنانون من روجآفا، و«كانت ممنوعة لدينا. كنا نسمعها من كاسيتات سريّة. سمعت صوت محمد شيخو لأول مرة عام 1977».

بعد أربعة أشهر في سجن «وان»، أصبح برادر أكثر وعياً بقوميته وطلب من أهله أن يحضروا له آلة الطنبور إلى السجن. ولحسن حظه، انهارت حكومة الجبهة القومية وأصبح بولنت أجاويد رئيساً للوزراء، فخُففت القيود. «كنت أعزف كل يوم أحد أمام ثلاثة آلاف سجين»، يقول برادر، ويضيف: «وبعد خروجي من السجن، رفضت المدرسة استقبالي بحجة أن السنة الدراسية فاتتني. ذهبت إلى نهر قريب من المدرسة، عزفت عزفاً وداعياً، وعدت إلى ماردين. امتدت دراستي أربع سنوات في (وان)، ومع حساب السجن والأشهر الضائعة تصبح خمس سنوات».

في نهاية 1979، نُفي برادر إلى قونية لإكمال الدراسة. لكنه تركها بسبب هجمات الفاشيست واعتقالات الشرطة المتكررة. و«بعد انقلاب أيلول 1980، هربت وعملت في الغابات متخفياً، ثم عدت إلى قريتي، لكنني لم أكن أنام في المنزل. لأن كثيراً من زملائي اعتقلوا، وأُرسلوا إلى سجن دياربكر بتهم الانفصال أو الشيوعية».

الهروب إلى أوروبا... والفن في المنفى

كانت لي علاقات مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني في «وان». في بيت العم عمر، «تعرفت على قادة الحزب، وكان كثير من عناصر البيشمركة يتلقون العلاج في بيته. كنا نجتمع لنغني أنا وابنته».

يطول الحديث مع هذا الفنان الذي ترك بصمة واضحة على الغناء الكوردي المعاصر. يحدثنا عن آماله وآلامه، عن سيرته الفنية الممتدة لأكثر من أربعين عاماً. نسأله ونحن نشعر بأن الحديث على وشك الوصول إلى نهايته: «ما رأيك في الحب؟»، فيجيب وعيناه تلمعان: «الحب كلمة صغيرة لكنها تحمل معاني عظيمة. هو يقظة المشاعر، سواء بين شخصين، أو بين الإنسان والطبيعة. أقصد الحب النقي، الخالي من الأهداف والمنافع. عندما يصبح الحب مجرد شهوة، يفقد معناه».

> **كانت معلمة الموسيقى توجهني للغناء الكلاسيكي، بينما كانت هناك معلمة من أورفة تقول إن اللون الشعبي أنسب لي. فكنت حائراً بينهما**

ربما لا يعرف كثيرون أن برادر يمارس التمثيل أيضاً. وشارك في عدة أفلام في هولندا، وقد بدأ التمثيل أثناء دراسته. أول أفلامه الطويلة كان عام 1996 عن أطفال اللاجئين الكورد، ثم شارك في أدوار متعددة في أفلام هولندية وكوردية. مؤخراً، تلقى عرضاً للمشاركة في فيلم هولندي لمنتج كوردي، مدته عشرون دقيقة.

ينتهي الحديث لكن صدى ذكريات الفنان برادر تبقى تتردد كأجراس بعيدة. ●

مانو خليل

عين أوصلت صوت الكورد للعالم

إيمان أسعد
صحفية عملت في مؤسسات
إعلامية محلية ودولية

في السينما، قلة فقط يمتلكون القدرة على تحويل الأفكار إلى مشاهد بصرية حية. ومانو خليل واحد من هؤلاء؛ استطاع من خلال أعماله خلق فضاء للابتكار، ورواية قصص الإنسان وهويته، متجاوزاً التعقيدات الشكلية. تقودنا مجلة «كوردستان بالعربي» عبر رحلة في أفلامه وفكره ونظرته إلى العالم من خلال عدسته، موضحة كيف تروي السينما حكايات الحقيقة والحرية والذاكرة الكوردية.

بداياته والتكوين

مانو خليل، المخرج الكوردي المعروف، من مواليد **1964** يحمل الجنسية السويسرية، ولد لعائلة كوردية تمتد جذورها بين شمال كوردستان وغربها. درس التاريخ والحقوق بجامعة دمشق، قبل الانتقال عام **1986** إلى تشيكوسلوفاكيا لدراسة السينما، حيث نال شهادة الماجستير في الإخراج السينمائي. ومنذ ذلك الحين، اشتغل بالإخراج والإنتاج السينمائي، متسلحاً بشغفه بقضيته وبروح فنية تتخطى مجرد صناعة الأفلام.

أفلام صنعت المسار

بدأ خليل مسيرته بأفلام أكاديمية في تشيكوسلوفاكيا، واصفاً إياها بأنها «صقلت تجربته الإبداعية»، وكانت تحمل دائماً روح القضية الكوردية. ويؤكد التزامه الأخلاقي بالسينما كـ«طريق فني لنيل حقوق الشعب الكوردي وحريته».

يقول خليل إنه يحمل «روحاً ضعيفة تتحمل أحياناً ما يفوق طاقتها»، معبراً عن حزنه العميق إزاء مآسي شعبه، بدءاً من مجزرة حلبجة الكيميائية التي نفذها نظام صدام حسين، مروراً بعمليات الأنفال، والتغييرات الديموغرافية في روجآفا (غرب) كوردستان، وصولاً إلى انتفاضة روجآفا عام 2004 وما حدث فيها من انتهاكات.

ويشدد المخرج الكوردي على أهمية القيم الأخلاقية في أعماله، لأن كل فيلم، كما يرى، «يحمل قضية أخلاقية نقية، أقف وراء كل عمل أنجزته وأفتخر به، سواء حقق نجاحاً عالمياً أم لم ينل الاهتمام الكافي، لا يفقد قيمته بالنسبة لي كمبدع. ما يهمني هو أن كل فيلم استنزف وقتي وجهدي ومشاعري ومواردي، ولم أصنع أي عمل لمجرد التسلية أو الترفيه».

أفلامه... وجائزة مهرجان أوغسبورغ

من بين الأعمال التي تحمل بصمته الخاصة، ذكر خليل أفلاماً مثل «هناك حيث ينام الله» و«جنان عدن» و«طعم العسل» و«حافظ وماراً» و«جيران»، مؤكداً أن تأثير هذه الأفلام في قلبه ليس بسبب نجاحها التجاري، بل لأنها تجسد خصوصية الحلم الذي ما زال يرافقه حتى اليوم.

وفي سياق الحديث، شارك خليل تجربة فوزه بجائزته الأولى، وكيف منحته إحساساً بالتقدير والمسؤولية نحو السينما وقضايا شعبه. ويرى أن «النجاح العالمي للفيلم ليس فقط إنجازاً بل مسؤولية، لأن مانحي الجائزة يتوقعون أعمالاً أكثر تأثيراً في المستقبل». وأوضح أن جائزته الأولى كانت عن فيلمه الوثائقي «هناك حيث ينام الله»

الذي صوره سراً في روجآڤا كوردستان عام 1992، باللغة الكوردية وبجهود شخصية، وفاز بالجائزة الأولى في مهرجان أوغسبورغ الألماني، مع منحة من شركة «مرسيدس بنز».

وبيَّنَ خليل أن هذا الفيلم كشف «انتهاكات النظام الأسدي البائد بحق الكورد، ويستكشف تجارب الناس وعلاقتهم بالأرض والهوية في منطقة كانت تحكمها حدود سياسية وثقافية مشددة».

ويعتبر خليل هذا الفيلم نقطة تحول في حياته، مؤمناً بأن السينما «سلاح من نوع آخر» وهي لغة عالمية ووسيلة إنسانية تمكنك من كسب المناصرين وطرح قضيتك بأسلوب حضاري، مشيراً إلى «أنه أوصل الصوت الكوردي للعالم من خلال أفلامه». وقال إنه، وبعد 33 عاماً، استخدم أجزاء من هذا الفيلم في عمله «جيران».

القضية الكوردية بعدسة عالمية

يرفض المخرج الكوردي وصف قصصه بـ«المهمشة»، مؤكداً أنه يروي «قصصاً من الحياة الكوردية نفسها، عميقة ومتنوعة، تنبض بالروح وتصرخ من أجل الحرية وتعكس كرامة وعنفوان الإنسان الكوردي»، مضيفاً أن في أعماله لا توجد هوامش؛ «فكل قصة أرويها أضع فيها أفكاري وذكرياتي وما أحمله من إحساس بالانتماء للإنسان؛ لأغاني حسن زيرَك، وكاويس آغا، وعيشي شان، ومحمد عارف جزيري، وأسليكا قادر وغيرهم».

السينما الكوردية.. الواقع والتحديات

وعن السينما الكوردية، قال خليل: «عندما ذهبت عام 1986 إلى تشيكوسلوفاكيا لدراسة السينما، لم يكن هناك أي فيلم كوردي باللغة الكوردية، ولا أي مهرجان يعرض أفلاماً كوردية. أعتقد أن فيلم «هناك حيث ينام الله» كان من الأفلام القليلة المنتجة بالكوردية، بسبب الحظر وصعوبات التمويل. وبعد عام 2000 وعام 2003 والاستقرار الذي حصل في إقليم كوردستان العراق، صُوِّرت مجموعة من الأفلام باللغة الكوردية في كوردستان، ويتم عرضها في مهرجانات تقام حول العالم».

وتحدث خليل عن تحديات السينما الكوردية في مناطق من كوردستان، التي لا يزال إنتاج الأفلام الكوردية فيها صعباً جداً (عدا إقليم كوردستان) بسبب غياب الدعم المادي، وعدم وجود مؤسسات سينمائية داعمة للفن الكوردي. وقال إن كل أعماله السينمائية كانت بجهوده الشخصية، ومن خلال شركته الإنتاجية. مشيراً إلى أن المشكلة الكبرى اليوم هي توزيع الأفلام كوردياً، وعرض أفلامه للشعب الكوردي.

ويتساءل المخرج: «لماذا نقيم مهرجانات إذا لم نكن ندعم توزيع الفيلم لشعب كوردستان؟ هل يجب إقامة مهرجانات فيها أيضاً؟ ما هو العائق ومن يقف أمامه؟».

السينما ليست ترفاً

وأوضح خليل أن «السينما لشعب مثل الشعب الكوردي ليست ترفاً، بل أداة وجودية لتوثيق الهوية واللغة والتاريخ والثقافة، ونقل معاناة الشعب وأحلامه للعالم بطريقة سلمية وإنسانية... إنها حق في التعبير وضرورة للحفاظ على وجودنا وهويتنا».

ويروى خليل بهذا الشأن تجربة شخصية، قائلاً: «قبل 20 عاماً، وفي عام 2006، أثناء عرض أحد أفلامي في سويسرا، جاءني رجل سويسري وشكرني، وقال: أستاذ مانو خليل: بيتي في بيرن بجانب السفارة التركية. منذ سنوات يتظاهر بعض الناس أمام السفارة، من دون أن أفهم شيئاً أو سبباً لذلك، فقط أقوم بغلق نوافذ منزلي. اليوم، وبعد مشاهدتي لفيلمك، فهمت من هم هؤلاء الناس الذين كانوا يتظاهرون ولماذا يتظاهرون».

مشاركته في مهرجان آمد

وعن مشاركته في مهرجان آمد (ديار بكر) السينمائي، أعرب خليل عن سعادته لافتتاح المهرجان من جديد بعد توقيفه لسنوات، وقال: «سأشارك بفيلم (جيران) لخصوصيته وللقضايا التي يطرحها والتي تهم الشعب الكوردي، وليس فقط لحصده العديد من الجوائز وعرضه في أكثر من 30 دولة»، ويشير إلى أن المهرجان «فرصة للحوار ولقاء الناس، خاصة في شمال كوردستان حيث هناك عطش للسينما، لاحظته أثناء عرض فيلمي الأخير في مدن مثل نصيبين، ووان، وآمد، وماردين وباطمان».

وقال خليل إن أحدث أعماله هو فيلم «لحظات» الذي يتضمن ثلاث قصص متداخلة مع بعضها البعض بشكل درامي، وقد انتهى من تصويره. كما كشف عن مشروعين ضخمين يأمل في إيجاد التمويل اللازم لتحقيقهما، حيث تعتبر المرحلة الأصعب.

رسالته

ختم خليل حديثه للمجلة برسالة للشباب والكورد ومحبي السينما، قائلاً: «من خلال تجربتي لأكثر من 30 عاماً، أقول للجميع، كما يقول المثل الصيني: أطول طريق يبدأ بخطوة أولى. كل خطوة وتجربة وصعوبة تواجهها تشكل شخصيتك الحالية، الطريق هو ما يمنح الحكمة والصبر والإصرار، ويجعل الوصول ذا قيمة حقيقية، ليس المهم فقط الوصول، بل كيف عشت الطريق وما تعلمته من كل لحظة فيه». ●

ملصق لفيلم «جيران» الذي شارك به مانو خليل في مهرجان آمد (ديار بكر) السينمائي

«كِچي كافروش»

أسطورة وجهٍ واحد في مرايا متعددة

إسماعيل خالد گلالي

كاتب ومترجم عمل مع العديد من الوكالات الدولية والمحلية

في زاويةٍ شبه منسية من متحف الذاكرة الشعبية، تجلس فتاة بعينين واسعتين تحدّقان في أفقٍ لا يراه سواها. ينسدل شعرها الفاحم على كتفيها، ويشي ثوبها المطرّز بأصولٍ يختلف الرواة في تحديدها. ابتسامتها غائبة، لكن نظرتها تملأ المكان حضوراً. لا أحد يعرف اسمها الحقيقي، ولا أحد يعرف على وجه اليقين من رَسَمَها. ومع ذلك، نادراً ما خلا بيتٌ – من أهوار جنوب العراق إلى قلاع كوردستان، ومن مقاهي الأناضول إلى دواوين الأردن وأزقة دمشق – من صورتها طوال عقود.

إنها «كِچي كافروش» (أي ابنة التبّان بالكوردية)، أو بنت المعيدي، أو صمانجي قيزي، أو فاطمة، أو فطّومة، أو جميلة، أو ليلى. امرأة واحدة، وأممٌ شتى، وأسطورة تتشعّب كالنهر حين يبلغ دلتا المصبّ.

الوجه الذي أربك الشرق

في مطلع القرن العشرين، حين كانت الطباعة الملوّنة ضرباً من السحر في عيون الناس، وكانت صورة امرأة جميلة على جدار بيتٍ تمثّل ثروة بصرية نادرة، انتشر بورتريه لفتاة مجهولة الهوية بسرعة لم تعرفها وسائل الإعلام في ذلك الزمن. لم تكن هناك شبكات اجتماعية، ولا فضائيات، ولا منصات رقمية. كان هناك الناس فقط، وبصيرتهم الفطرية بالجمال؛ وهذا وحده كان كافياً.

تجاوزت الصورة الحواجز كلها: اللغة، والعرق، والطائفة، والجغرافيا. ورأى كل شعب في هذا الوجه ما يريد أن يراه: نسبه، وفخره، ومأساته، وجمال ما فقده.

حين يتحوّل الجمال إلى ملحمة قومية

في كوردستان، لم تكن «كِچي كافروش» مجرد صورة معلّقة على الحائط؛ كانت رمزاً وطنياً مكتمل الدلالة، يحمل في ثناياه آلام شعبٍ رأى أرضه تُنتزع وكرامته تُنتهك.

تقول الرواية الكوردية الشائعة إن الفتاة، ابنة التبّان في قلب مدينة أربيل، أو في مناطق كويسنجق في بعض الروايات، كانت تسير بين الناس بجمالٍ آسر، حتى جاء الاحتلال البريطاني عام 1918. رأى ضابط بريطاني ذلك الوجه فانبهر، وأرسل الوفود والأشراف لخطبتها، وحين أغلقت الأعراف العشائرية في وجهه الأبواب، لجأ إلى منطق القوة. فاختطفها بطائرته ومضى. غير أن الفتاة – كما تهمس الرواية بنبرةٍ ملحمية – لم تستسلم. قفزت من الطائرة في الهواء، فاختارت الموت حرّة على حياة الأسر والعبودية.

تحوّلت هذه اللحظة الدرامية في المخيال الكوردي إلى ما يشبه أسطورة أنتيغون «فتاة تختار المبدأ على الحياة،

اللوحة التي يقول باحثون إنها من تصوير الإخوة عبد الله، مصوري الدولة العثمانية الرسميين

فتصير خالدة». غنّى لها مطربون كثر من الكورد، مثل حسن زيرك عام 1950، ثم محمد أحمد أربيلي عام 1970. وامتلأت بيوت كوردستان بصورتها حتى قيل إنه لا بيت كوردياً أفلت من سحرها. وصار معيار الجمال الأنثوي يُقاس بها، مثلما يُقاس الجمال في فرنسا بالموناليزا.

لم تكن المقارنة بلوحة ليوناردو دافينشي ضرباً من الزهو الشعبي، بل تعبيراً عن إحساسٍ حقيقي: ففي هذا الوجه غموض جيوكاندا، وفي حضوره تجربة وجدانية تتجاوز المتعة البصرية.

امتداد الأسطورة.. الوجه ذاته في مرايا مختلفة

لكن المفارقة تبدأ حين نغادر كوردستان ونجوب الثقافات المجاورة.

في جنوب العراق، صارت الفتاة «بنت المعيدي»: فلاحة من أهوار العمارة، ابنة مِعداني (مربي جواميس)، رأى جمالها ضابط بريطاني يُدعى «مكسن»، فأرسل وجهاء المدينة خطّابين. وحين صدّه اختلاف الدين والعرف، اختطفها إلى لندن. وتتباين النهايات من رواية إلى أخرى: زوجة الضابط الأولى تقتل وليد الفتاة العراقية، فتنتقم بنت المعيدي وتلجأ للهرب؛ أو تقفز من الطائرة؛ أو تعيش في لندن حياة هادئة. لكن يبقى جوهر الحكاية وثيمتها ثابتاً: جمالٌ يُنتزع، وكرامةٌ تدافع عن نفسها.

أما لدى التركمان العراقيين فسمّوها «صمانجي قيزي» (أي ابنة التبّان)، ترجمةً حرفية لاسمها الكوردي. وفي تركيا عُرفت باسم «بنت الحدباء». وفي سوريا صارت «فطّومة» المغربية التي تزوجها السلطان العثماني. وفي الأردن زيّنت صورتها الدواوين باسم «فاطمة المغربية». ومع اندلاع الثورة الجزائرية، رأى الجزائريون في ملامحها شبهاً بالمناضلة جميلة بوحيرد، بل ذهب بعضهم إلى القول إنها أختها. وفي مصر، والحجاز، والمغرب، تكررت الحكاية بأسماءٍ جديدة ونِسَبٍ مختلفة.

كل شعب ادّعى ملكيتها، وكل ثقافة ألبستها ثوبها، وأضافت إلى قصتها فصلاً من ذاكرتها الخاصة.

الحقيقة خلف الأسطورة

هنا يتقدم الباحث العراقي شاكر لعيبي بمقاربته النقدية. ففي دراسة نشرها عام 2017، رجّح أن أصل الصورة يعود إلى أرشيف فوتوغرافي مؤرخ عام 1880، من توقيع الإخوة عبد الله (Abdullah Frères) وهم ثلاثة مصورين أرمن كانوا مصوّرين رسميين للدولة العثمانية.

الفتاة في الصورة الأصلية كانت موديلاً مجهول الهوية، يُرجّح أنها تركية من إسطنبول، ترتدي أزياء القرن التاسع عشر، وتنظر بعيون هائمة إلى زاويةٍ خالية.

في مرحلة لاحقة، أعاد رسّام مجهول رسم الصورة، مضيفاً إليها «المزاج الريفي والتزويقية الشعبية» كما وصفه لعيبي. وغيّر زاوية النظرة قليلاً، فأفقدها شيئاً من غموضها الأصلي، لكنه منحها دفئاً يليق بجمهور مختلف عن جمهور الصالونات العثمانية. ثم طُبعت اللوحة في بريطانيا وألمانيا، وانتشرت في جهاتٍ شتى. ومع غياب اسم الرسام ووضوح المصدر، ارتفعت الصورة نحو مصاف الأسطورة.

> **الفارق الجوهري بين لوحة دافينشي وصورة «كِچي كافروش» أن الأولى تنتمي إلى عالم المتاحف والنخب، بينما الثانية كانت لوحة الفقراء والمهمّشين، وكانت تتربع فوق الطابوق الخام لا فوق الرخام**

ما الذي تقوله لنا هذه الفتاة؟

إن «كشف» الأصل التاريخي للصورة والفتاة لا يبدد جوهر الحكاية. بل لعلّه يضيء معناها الأعمق.

كيف استطاعت صورة فتاة مجهولة، ربما التُقطت في إسطنبول قبل نحو مائة وخمسة وأربعين عاماً، أن تصبح رمزاً للجمال في كوردستان، ورمزاً للشرف في أهوار العراق، ورمزاً للمقاومة في الجزائر، ورمزاً للوعة في الأردن، وأيقونة عشق في تركيا؟

الجواب يكشف طبيعة بشرية دقيقة: نحن لا نحب الجمال فحسب؛ بل نحتاج أن ننسبه إلينا، وأن نكسوه بحكاية تشبهنا.

الأكثر إدهاشاً أن بنية القصص متطابقة: جمالٌ محلي يُختطف بقوة استعمارية، وكرامةٌ تقاوم. هذا ليس مجرد تشابه تخييلي، بل انعكاساً لتجربة تاريخية مشتركة عاشتها هذه الشعوب في زمن الاستعمار.

الفتاة المجهولة غدت وعاءً رمزياً يملؤه كل شعب بجرحه الخاص. وهذا، بالمعنى الأنثروبولوجي والأدبي، تعريفٌ للأسطورة الحقيقية.

لوحة ل «كجي كافروش» كانت تعلق في البيوت

ما الذي يميّزها عن الموناليزا؟

المقارنة بلوحة دافينشي لم تكن عرضاً عابراً. فكلتاهما وجه امرأة، ونظرة لا تبوح بسرّها، وحضور يثير التساؤل والغموض أكثر مما يمنح الإجابة والوضوح.

لكن الفارق الجوهري أن لوحة دافينشي تنتمي إلى عالم المتاحف والنخب، بينما «كِچي كافروش» كانت لوحة الفقراء والمهمّشين. كانت تتربع فوق الطابوق الخام لا فوق الرخام. كانت حاضرة في المقاهي والمضافات والغرف البسيطة، لا في صالات العرض الكبرى.

ولهذا، ربما كانت أكثر تأثيراً في الوعي الجمعي الحقيقي؛ فالموناليزا يعرفها الجميع، لكن لا أحد يمتلكها. أما «كِچي كافروش»، فقد امتلكها الناس، وامتلكتهم.

خاتمة.. الأسطورة الخالدة

الأسطورة لا تحتضر حين يُكشف عن جذورها، بل تموت حين تعجز عن احتضان الحقيقة الإنسانية التي نبتت من أجلها. وهذه الأسطورة ما تزال حيّة؛ لأنها تختزن حقيقةً لافتة مفادها: أن شعوباً مختلفة في اللغة والدين والعرق، وجدت في وجهٍ واحد مرآةً لجرحها المشترك، وحلمها المشترك، وتعريفها المشترك للجمال حين يلتقي بالمصير.

«كِچي كافروش» لا تزال تحدّق في أفقها البعيد. ونحن لا نزال نحاول أن نفهم ما الذي تراه. ●

* استند هذا المقال إلى أبحاث الناقد شاكر لعيبي، ودراسات الدكتور فرهاد پيربال، وشهادات باحثين وكتّاب من العراق وكوردستان.

ابن الرزاز الجزري
رائد الميكانيك والهندسة

أحمد معاذ أوغلو

مدير القسم الكوردي بوكالة

الأنباء السورية (سانا)

في عصر تشهد فيه التكنولوجيا الحديثة تطوراً مذهلاً في مجالات كثيرة لعل من أهمها الروبوتات والبرمجة المسبقة، قد لا يعرف الكثيرون أن جذور هذه التقنيات تمتد إلى قرون مضت ضمن سلسلة ممتدة عبر العصور كانت كل حلقة منها تُمهد للحلقة التالية. وبعض أهم هذه الحلقات انطلقت من بلادنا كوردستان، وربما كان رائدها أحد أجدادنا الكورد.

ويكاد المتخصصون في تاريخ التقنية يجمعون على أن ابن الرزاز الجزري، الذي عاش في كوردستان متنقلاً بين جزيرة بوطان وديار بكر (آمد) في القرن الثاني عشر الميلادي في ظل الحكم الأيوبي والأرتقي إحدى أهم هذه الحلقات، بل هو السبّاق في هذا المسلسل إلى تحويل النظري إلى عملي غير مكتفٍ بالفكرة، بل يتجاوزها للتجربة ثم التطبيق الكامل، وبلمسة فنية راقية، داخل إطار فلسفة إنسانية عميقة ليضع الأسس العلمية والتقنية للعديد من الاختراعات التي نعتبرها اليوم من معجزات التكنولوجيا الحديثة.

إذا كانت الروبوتات وبرمجتها المسبقة تُذهلنا، فالجزري هو من همس لها بالحياة في أول الحكاية، وإذا كنا نعجب بدقة صناعة الساعات، فالجزري هو من حرك الثانية الأولى من عمرها، وإذا كنا نتنعم بالرفاهية والسرعة في قيادة سياراتنا، فالجزري هو أول من شغل مفتاح محركاتها، وإذا كنا نشرب الماء السائغ من جوف الأرض، فالجزري هو الذي سهل لنا استخراجها بأبسط طريقة...

لا يُعرف الكثير عن حياته الشخصية للأسف، إلا أن المعلومات التي وصلتنا تخبرنا أن اسمه عبد العزيز بن إسماعيل، وكنيته أبو بكر وأبو العز، ونسبته الجزري. والجزري، كما لا يخفى، نسبة لموطنه ونشأته (الجزيرة)، ولقبه بديع الزمان، ولا يعرف تاريخ محدد لولادته، أما وفاته فالأغلب أنها كانت سنة 602 هـ / 1205م. ورغم المعلومات الشحيحة عن حياته، كان هو بنفسه يهتم بتوثيق اختراعاته بالرسومات التوضيحية التفصيلية، فغدا توثيقه مرجعاً علمياً مهماً لقرون عديدة من خلال كتابه الذي ذاع صيته «الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» ووصلتنا ببضع نسخ مخطوطة، وترجم منذ القديم إلى لغات عديدة، بل وطبع ولا يزال يطبع منذ طبعة إيطاليا الأولى بالقرن السادس عشر. ويحتوي الكتاب على مخططات تفصيلية لأكثر من 100 آلة، قام

على تجربة أكثر من 50 آلة منها، ويُعد من أوائل الكتب التي جمعت بين الرسم الهندسي والتطبيق العملي.

لا تذكر المصادر التي ترجمت له أي نسبة له إلى قبيلة عربية كما هو عادة الترجمة لأعلام العرب بتثبيت النسب، وإنما نُسب إلى والده فمدينته، مما يرجح أن أصله من الكورد حيث ولد وعاش وتنقل واشتغل في مناطق كوردستانية ذات غالبية كوردية.

لم يكن الجزري مجرد صانع آلات، بل كان مهندس الرؤية المستقبلية، الذي أدرك أن العلم لا يكتمل إلا إذا اقترن بالتطبيق. فقد أسس بمخيلته الواسعة وأدواته الدقيقة مفاهيم لا تزال تُدرّس في كليات الهندسة حتى اليوم. إن إرثه العلمي لا يقتصر على اختراعاته، بل يمتد إلى المنهجية التي اتبعها في التفكير والتصميم، والتي أصبحت حجر الأساس في بناء الحضارة التقنية الحديثة، كل هذه التجارب التي أثبت الجزري نجاحها، ووضع أسسها لتتطور خلال الأجيال فيما بعد حدثت في أكبر مدينة كوردية وهي العاصمة غير المسماة لكوردستان ألا وهي مدينة ديار بكر، حيث كان الجزري كبير المهندسين في بلاط حكامها من الأرتقيين.

أبرز إسهاماته في تأسيس أصول الاختراعات الحديثة

الآلات الذاتية الحركة والتشغيل (المحركات): صمم الجزري آلات تعمل من دون تدخل بشري مباشر أو بمساعدة الدواب كما كان في السابق، وهي أساس المحركات التي تعمل بالطاقة فيما بعد، ومنها انطلقت أفكار المحركات بدءاً من المحركات البخارية إلى المحركات التي نعرفها اليوم، فيعد بذلك أول مخترع للمحرك.

صورة من الذكاء الاصطناعي للعالم ابن الرزاز الجزري

الهندسة الهيدروليكية: حيث استخدم الماء كمصدر طاقة لتشغيل مضخات رفع المياه ليسجل اسمه كمخترع المضخات الهيدروليكية.

عمود الكامات أو (الحدبات): الذي يُعد من أهم مكونات محركات الاحتراق الداخلي في محركات السيارات وبقية وسائط النقل اليوم، حيث يحوّل الحركة الدورانية إلى حركة خطية. ويُدار هذا العمود عن طريق سلسلة معدنية - عمل

ساعة الفيل أحد إبداعات ابن الرزاز

الجزري على تطويرها - أو حزام توقيت متصل بعمود المرفق، لضمان التزامن الدقيق بين حركة المكابس والصمامات. وقد وضع الجزري أسساً ميكانيكية مشابهة من خلال آلياته المعقدة، مما يُعد تمهيداً مبكراً لفهم أنظمة التوقيت في المحركات الحديثة.

المسننات الدائرية وأساليب توصيلها: تلك التقنية التي لا يستغني عنها أي مصنع اليوم حيث طور الكثير من أشكالها وطرق تركيبها المتماثلة أو المتعاكسة. وفي مجال ربط القطع الميكانيكية ببعضها البعض من خلال آلية تركيب القطع ببعضها البعض، ما يعرف اليوم بمبدأ (الذكر والأنثى).

الروبوتات: بصناعة أجهزة ذاتية التشغيل ضمن برمجة مسبقة فيما يعرف بالتحكم الآلي، ومنها روبوتات كان يُتَحَكَّم بها بالماء، وروبوتات ترفيهية من خلال فرقة موسيقية مبرمجة مسبقاً للتسلية كانت من أعاجيب الزمان حينها،

> **لم يكن الجزري يخترع فحسب، بل يرسم المستقبل بمسطرة الماء، وينظم حركتها بالمسننات ليصوغ الآلات من نبض الفكرة مع صياغة فلسفية حضارية إنسانية ضمن لوحات فنية جميلة راقية**

وروبوتات خدمية منها اختراع يستخدمها معظمنا اليوم وهو مبدأ الشفاط المائي المستخدم في الحمامات حول العالم.

الساعات: ولأهمية الوقت وحسابه كان للساعات النصيب الأكبر من اختراعاته سواءً في مجال تطوير الآليات المتوفرة حينها لحساب الوقت، أو من خلال ابتكار أول ساعة ميكانيكية اعتماداً على اختراعاته المتعلقة بالمسننات الدقيقة لربط العقارب بها للتحرك، كما قدم لعالم الساعات ميزان الساعة الذي يحافظ على ثبات سرعة دوران المسننات، حتى تحافظ على إحكام الثواني والدقائق.

أما في مجال تطوير الأساليب الموجودة لحساب الوقت حينها، فقد طور الكثير من الساعات المائية والشمعية، ومنها ساعة شمعية خاصة كانت تعد من أدق الساعات في حساب الوقت المستغرق في عمل ما، وربما كان الجزري أول من فكر فيها، وهي ميزة يجدها كل واحد منا اليوم في هاتفه الجوال، كما صنع ساعات روبوتية فنية أخرى منها ساعة الكاتب، وهو رجل آلي يجلس على كرسي، ويكتب الوقت على لوح، وساعة الطبال الذي يدق على طبلته حسب التوقيت الساعي، وساعة القلعة وهي ساعة ضخمة متعددة الوظائف، منها عرض الوقت بإصدار أصوات وتحريك شخصيات.

لكن أشهر اختراعاته وأكثرها إثارةً للإعجاب كانت ساعةً جمعت ذوقه الفني وإحساسه الإنساني الحضاري إضافة إلى أفكاره الميكانيكية بدمج البرمجة الروبوتية المسبقة فيه ألا وهي ساعة الفيل. وتُعتبر ساعة الفيل تحفة من تحف الزمان، ومن أبرع ما اخترع الإنسان، ونسخة مبكرة لمفهوم التلاقي والتعدد الحضاري. وقد صنعت نسخ عديدة من هذه الساعة الأسطورية على مر التاريخ. واليوم توجد نسخة من هذه الساعة في المتحف المتخصص بتاريخ تطور آلات وقياس الوقت في سويسرا، ونسخة فائقة الدقة بجامعة الملك سعود في السعودية، ونسخة أخرى معروضة بمجمع ابن بطوطة للتسوق في دبي.

كانت الساعة على شكل فيل، تعمل عن طريق نظام مائي مخفي. مزين بطريقة فنية رفيعة المستوى، مقسمة إلى ستة أجزاء، كل جزء يحمل عناصر ثقافة معنية وهي: الحضارات الإسلامية والفرعونية والصينية والهندية والأفريقية والإغريقية، وكأنه يلمح لتلاقح الحضارات، وأن كل حضارة

تأخذ مما ساد قبلها، وتعطي من سيأتي بعدها.

وله إسهامات علمية أخرى كحسابات التقويم وإسهاماته في علم الفلك تحتاج إلى أكثر من مقال لبيانه.

لم يكن الجزري يخترع فحسب، بل يرسم المستقبل بمسطرة الماء، وينظم حركتها بالمسننات ليصوغ الآلات من نبض الفكرة مع صياغة فلسفية حضارية إنسانية ضمن لوحات فنية جميلة راقية. فلم تكن آلاته باردة، بل نابضة بالروح تشع البهجة وتزرع الإنسانية، ولم يكن مجرد مهندس أو صانع آلات، بل كان عبقرياً سبق عصره، وضع اللبنات الأولى لما نعرفه اليوم من مفاهيم في الهندسة الميكانيكية، والروبوتات، وأنظمة الهيدروليك. لقد كانت اختراعاته بمثابة الجسر الذي عبرت عليه البشرية نحو الثورة الصناعية التي نشهدها حالياً. ●

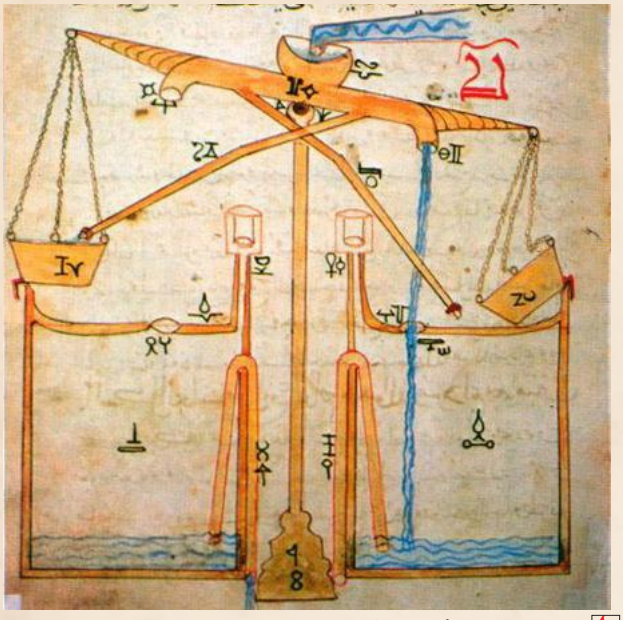

روبوت يتم التحكم به بالماء من اختراعات ابن الرزاز

روبوت خدمي يُستخدَم فيه مبدأ الشفاط المائي من اختراعات الجزري

كاميران بدرخان

الأمير المنفي الذي بكى حبيبين

عبدالحميد زيباري
كاتب صحفي

في شقة متواضعة بحي «سان جيرمان» الباريسي، وقف السياسي الكوردي المخضرم دارا عطار، عام 1975 أمام مشهد لا يمحوه الزمن من ذاكرته: رجل في العقد الثامن، منهار تماماً، تختلج كتفاه من البكاء الصامت. بعد لحظات من السكون المثخن بالوجع، يختزل الرجل مأساة عمر بكلمات قليلة تُثقِلُ كاهل التاريخ: «يا دارا، لقد فقدت حبيبين؛ زوجتي وكوردستان، وكلاهما رحل عني في أسبوع واحد».

اللقاء الأخير

ذلك الرجل لم يكن أيّ شخص. كان الدكتور كاميران بدرخان، أحد أعمدة الفكر القومي الكوردي، وأميراً من سلالة الأمراء البدرخانيين الذين كرسوا حياتهم للقضية الكوردية، والذي جمعته علاقة وطيدة بالقائد ملا مصطفى بارزاني. زيارة دارا عطار للأمير كاميران جاءت بعد أيام من نكبة «اتفاقية الجزائر» المشؤومة بين صدام حسين وشاه إيران في آذار 1975، التي أطاحت بأحلام الشعب الكوردي في العراق، وتزامنت مع رحيل زوجته البولندية ناتاليا.

ناتاليا، زوجة الدكتور كاميران، هي التي اعتادت أن تفتح الباب لطارقيه، لكن ذلك اليوم، يقول دارا عطار، «طرقته طويلاً حتى فتحه كاميران؛ كان شاحباً.. يرى أن جرح فقدان شريكة الحياة لا يندمل، وكذلك جرح خيانة الأمة. عاش سنواته الأخيرة في زهد وأسى عميق، كأن جرحين نُكئا في روحه».

مسيرة أمير منفي.. من إسطنبول إلى باريس

وُلد كاميران بدرخان في إسطنبول عام 1895، لعائلة كانت تخضع لإقامة جبرية

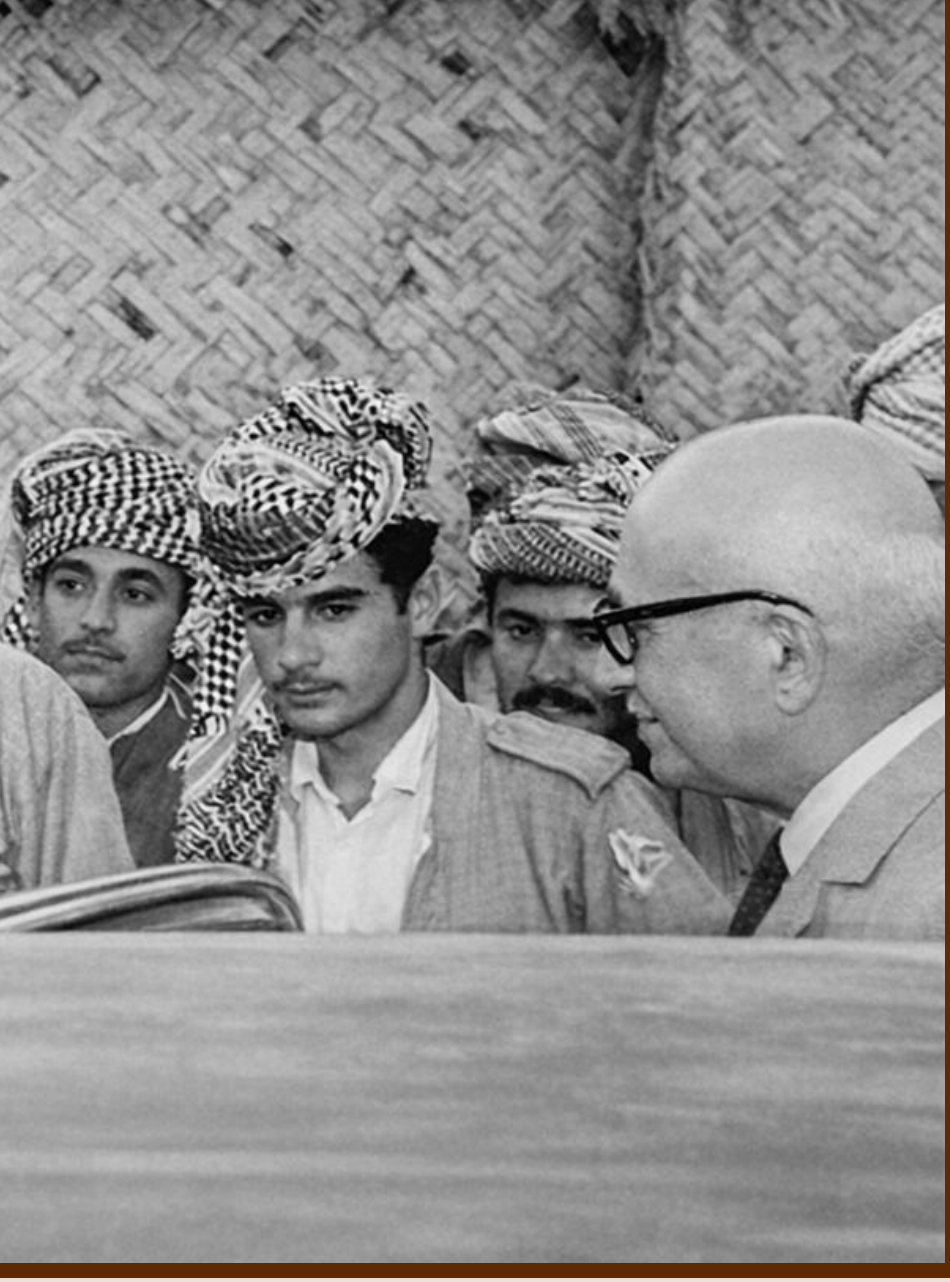

زار الأمير كاميران بدرخان، كوردستان عام 1970 لتهنئة بارزاني والشعب الكوردي بإعلان الحكم الذاتي، واستُقبل استقبال الأمراء والأبطال.. وكان بارزاني يرى في عائلة بدرخان رمزاً لتاريخ كوردستان النضالي

منذ عام 1879 بسبب نضالها ضد الاستبداد العثماني ومطالبتها باستقلال كوردستان. درس الحقوق، غير أن صعود أتاتورك دفعه، مع إخوته، إلى المنفى الأوروبي، حيث نال الدكتوراه من جامعة لايبزغ الألمانية. ولم يُسمح لعائلة بدرخان بدخول تركيا إلا عام 1967.

لم يكن بدرخان مجرد مناضل صالونات، بل دخل سراً إلى تركيا للمشاركة في انتفاضة آگري عام 1930. وبعد فشلها، استقر في بيروت حيث مارس المحاماة (1930 - 1943) وأسّس مدرسة كوردية. وكان فاعلاً رئيسياً في جمعية «خويبوون» السرّية، وأصدر صحفاً ناطقة بالكوردية والفرنسية مثل «روجا نو» و«ستير»، وقدّم نشرات إخبارية باللغة الكوردية عبر الإذاعة اللبنانية.

جسر معرفي بين الكورد والعالم

في باريس، تحوّل بدرخان إلى جسر معرفي بين الكورد والعالم. فقد درّس في جامعة السوربون العريقة، وأصدر

قاموساً كوردياً - فرنسياً لا يزال مرجعاً للمهتمين باللغتين. وكان يتقن الكوردية والتركية والعربية والألمانية والفرنسية، وكتب مقالات وأشعاراً ودراسات أدبية وسياسية، حاملاً همّ تحديث اللغة الكوردية وإيصال صوت شعبه إلى العالم.

وفي لحظة أمل نادرة، زار جنوب كوردستان (إقليم كوردستان العراق) عام 1970 برفقة زوجته، لتهنئة بارزاني والشعب الكوردي بإعلان الحكم الذاتي. استُقبل هناك استقبال الأمراء والأبطال، وكان بارزاني يرى في عائلة بدرخان رمزاً لتاريخ كوردستان النضالي.

جسد للعلم.. وروح للوطن

توقف قلب كاميران بدرخان عن الخفقان في الرابع من كانون الأول 1978، وأوصى بأن يُتبرع بجسده للمعهد الطبي للبحوث العلمية في فرنسا. رحل الأمير المنفي كما عاش: بين وطن حلم وحب ذبل في المنفى، لكن إرثه النضالي والفكري يبقى شاهداً على جيل حمل القضية في قلبه حيثما حلّ وارتحل. في بكائه ذلك اليوم في باريس، لم يكن يبكي على حبيبين فحسب، بل كان ينعى قرناً من النضال والمنفى والأمل المؤجل. ●

مهند الجبوري

أكاديمي يوثق تاريخ بارزان

في زمن تتصاعد فيه الحاجة إلى قراءة التاريخ بعيون موضوعية، بعيداً عن التجاذبات السياسية والانحيازات الأيديولوجية، يبرز اسم منطقة جبلية في كوردستان العراق كإحدى أهم الصفحات في التاريخ العراقي الحديث والمعاصر. بارزان.. هذا الاسم الذي ارتبط بالنضال والتسامح والدفاع عن المظلومين، يحمل في طياته قصصاً من التضحية والصمود امتدت لأكثر من قرن.

ثورة بارزان كانت تطالب بحقوق الشعب الكوردستاني وكانت ملجأ للمظلومين، ورفعت شعار الإنسانية قبل السلاح، ومشيخة عُرفت بـ«مشيخة المظلومين والفقراء».. كل هذا دفع الدكتور مهند علي فرحان الجبوري، المختص بتاريخ العراق الحديث والمعاصر، لأن يكرّس سنوات من البحث الأكاديمي لتوثيق هذا التاريخ.

وفي حوار خاص مع مجلة «كوردستان بالعربي»، يأخذنا د. الجبوري في رحلة عبر الزمن، من عام 1869 حتى 1969، متتبعاً مسيرة الشيخ أحمد البرزاني ومنطقة بارزان، مستعرضاً كيف أسست هذه المنطقة قواعد التسامح والأخوة، وكيف أصبحت ملاذاً آمناً لكل ثائر ومناضل.

الصورة: هيڤيدار بارزاني

رحلة أكاديمية في أروقة تاريخ بارزان

بدأت رحلة د. الجبوري الأكاديمية عام 2015 حين حصل على شهادة الماجستير من جامعة ديالى بدراسة عن «شيخ أحمد البارزاني وأثره الاجتماعي والسياسي 1869 - 1969». لم تكن هذه الدراسة مجرد بحث أكاديمي، بل كانت استكشافاً عميقاً لحياة زعيم استثنائي أسس قاعدة أساسية في بارزان قائمة على التسامح والأخوة والسلام بين جميع المجتمعات.

يصف الباحث الشيخ أحمد بارزاني بأنه كان «بمثابة الأخ والأب الروحي لبارزان بعد الشيخ عبد السلام بارزاني». وعبر صفحات بحثه، استعرض أهم مراحل حياة هذا القائد من ولادته عام 1896 إلى وفاته عام 1969، في رحلة «كانت مليئة بالأحداث التاريخية المهمة، منها تصديه للسيطرة العثمانية وكذلك لقوات الاحتلال البريطاني، وأيضاً الدفاع عن جمهورية مهاباد».

الشيخ أحمد، كما يكشف الجبوري، لم يكن مجرد قائد عسكري، بل كان مشرّعاً ومفكراً. فقد «سنّ دستوراً خاصاً لبارزان مكملاً للدستور الذي سنّه الشيخ عبد السلام بارزاني، شمل حماية البيئة وكثيراً من القوانين التي أُسست في بارزان». كان رجلاً «له مواقف كثيرة ووطنية على مستوى العراق وعلى مستوى القضية الكوردية، التي دافع حتى آخر لحظة في حياته».

ولم تتوقف رحلة الباحث عند الماجستير، بل أكملها بأطروحة دكتوراه من جامعة تكريت عام 2021 بعنوان «عشائر بارزان ودورها في العراق 1903 - 1958»، موسعاً نطاق بحثه ليشمل الدور الأوسع لعشائر بارزان في نسيج التاريخ العراقي الحديث.

صفحات من نضال لا ينتهي

يأخذنا د. الجبوري في جولة تاريخية عبر أهم الحركات البارزانية التي شكّلت منعطفات حاسمة في تاريخ المنطقة، واللحظة الأكثر دراماتيكية، حركة الشيخ أحمد بارزاني من 1931 إلى 1932 التي «تصدى بها للاحتلال البريطاني وأيضاً قوات الجيش العراقي في العهد الملكي».

صورة جوية لصرح بارزاني الوطني التذكاري

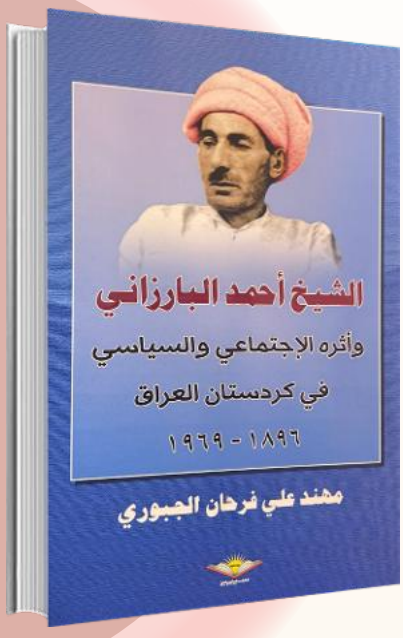

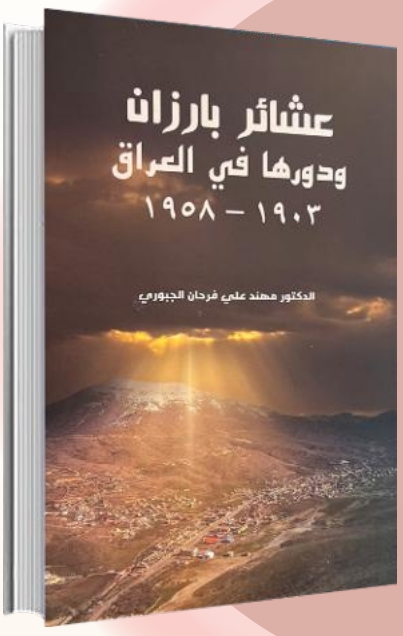

كانت تداعيات تلك الحركة عميقة ومؤلمة. فبعد انهيارها، لجأ الشيخ أحمد بارزاني إلى تركيا، وبقيت التداعيات مستمرة حتى عام 1935.

وفي عام 1931، قاد مصطفى بارزاني قوات ثوار بارزان (ثورة بارزان الأولى) في مواجهة الجيش العراقي بقيادة العقيد برقي شوقي ويس، وخاض سلسلة من المعارك شملت جبهات برادوست وميرگسور وبيرسياف، إضافة إلى معارك كروابني وكوركي وهفنكا ووادي فازي، في مواجهة القوات العراقية والعشائر المتحالفة معها.

وفي 27 تموز 1943، قاد الملا مصطفى بارزاني ثورة بارزان الثانية ضد قوات الجيش والشرطة العراقية، إذ خاض معارك في خيرزوك وكورتو وجبل پيران ومزنى وجبهة نهلى. وسجل انتصاراً بارزاً في تشرين الثاني من العام نفسه عندما تمكن من دحر فرقة للجيش العراقي قرب ميرگسور.

النضال لم يتوقف، إذ انتقل البارزانيون إلى فصل جديد من المقاومة في جمهورية مهاباد في إيران، حيث وثّق الباحث «دور الشيخ أحمد بارزاني والبارزانيين قاطبة» و«كيف كان دورهم النضالي في هذه الجمهورية والدفاع عنها، والتحديات التي واجهوها».

هجرة المنفى

ربما كانت أكثر الصفحات مأساوية في هذا التاريخ هي هجرة البارزانيين الكبرى. يروي الجبوري تفاصيل هذه المحنة التي بدأت عام 1945 نتيجة انهيار ثورة بارزان الثانية بقيادة الملا مصطفى بارزاني، حيث اضطر البارزانيون للجوء إلى إيران مع عوائلهم.

ثم يصف الباحث المشهد بكلمات مفعمة بالألم: «مرّ البارزانيون بظروف صعبة جداً نتيجة قساوة الموقف، وكذلك الجوع والعوز الذي كانت تمر به العوائل». لكن رغم كل هذه المعاناة، حافظ البارزانيون على تماسكهم ووحدتهم، وهو ما يعكس عمق الروابط الاجتماعية والقيمية التي أسسها قادتهم.

مُنح مصطفى بارزاني رتبة الجنرال في أوائل عام 1946 تقديراً لنضاله وخبرته في الشؤون العسكرية. في 31 آذار 1946، التحق بجيش جمهورية كوردستان الديمقراطية، برتبة جنرال، وتولى في العام ذاته منصب قائد جبهة سقز. شكّل البارزانيون قوة مهمة في الدفاع عن جمهورية «مهاباد» الكوردية، وقاد بارزاني عدة معارك ضد الجيش الإيراني.

حين سألناه عن سبب اختياره لبارزان تحديداً كموضوع لبحثه، كانت إجابة د. الجبوري واضحة ومباشرة: «بارزان،

شئنا أم أبينا، صفحة مشرقة من صفحات تاريخ العراق الحديث والمعاصر». وأضاف: «كل باحث يطمح إلى أن يجد موضوعاً فيه موقف. وجدت في البارزانيين مواقف وطنية كثيرة دفعتني لدراسة هذا الموضوع».

التسامح والإنسانية

يصف الجبوري النهج الذي اتبعه البارزانيون بوضوح قائلًا: «التسامح والسلام دائماً»، ويضيف في تفصيل لافت: «أما لجوئهم لحمل السلاح فهو أمر فُرِض عليهم، وما هو إلا دفاع عن أنفسهم».

هذا النهج لم يكن مجرد شعار يُرفع، بل تحوّل إلى واقع ملموس جعل من بارزان ملاذاً آمناً، إذ يصفها الباحث بأنها كانت «منطقة محمية من أهلها وملاذاً آمناً لكل مظلوم».

سياسة الحقوق لا العداء

وعن السمات السياسية لبارزان، يوضح د. الجبوري أنها «قائمة على حفظ حقوق الشعب الكوردي ومن يلجأ إليهم». ويرى أن «تأثيرهم كبير جداً على الشعب الكوردي، لأنهم وجدوا في القادة البارزانيين الإخلاص والحب والتفاني والدفاع عن قضيتهم بكل إخلاص».

في ختام حديثه، يؤكد د. الجبوري على أهمية توثيق هذا التاريخ للأجيال القادمة، قائلاً بثقة الباحث الذي يدرك قيمة ما يقوم به: «الأهمية كبيرة للتعرف على تاريخ هذه المنطقة وتاريخ الأشخاص والقادة والرموز البارزانيين، والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، وأيضاً قربهم من المجتمع العراقي». ●

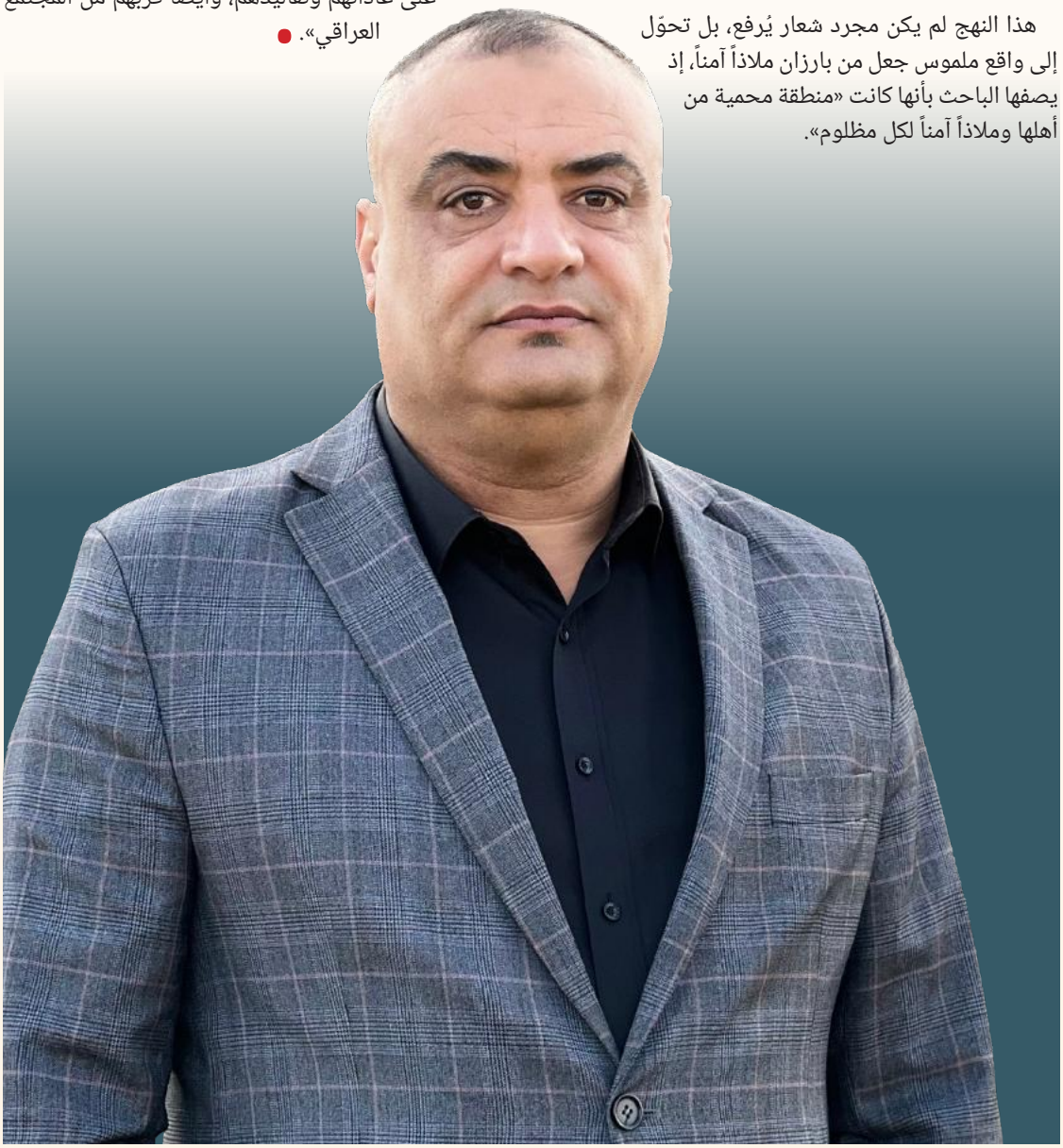

الصورة: رياض الحمداني

غازي زيباري

من لاجئ إلى قائمة أفضل أطباء أمريكا

هيمن بابان رحيم

صحفي عمل في العديد من المؤسسات المحلية والدولية

بين أكثر من مليون طبيب مرخّص في الولايات المتحدة الأمريكية، لمع اسم طبيب كوردي متميز، ضمن قائمة «أفضل الأطباء» لعام 2025 الصادرة عن السجل الأمريكي.

يشغل غازي زيباري منصب المدير الإقليمي لمركز «جون سي مكدونالدز» لقسم زراعة الأعضاء، ورئيس الجراحين الأكاديميين في مستشفى «ويليس نايتون»، ويدرّس أيضاً في جامعة لويزيانا الأمريكية.

سجل حافل بالألقاب والجوائز

المغترب الكوردي طبيب جرّاح متخصص في زراعة الأعضاء، ويسكن حالياً مدينة شريفبورت بولاية لويزيانا الأمريكية، وهو مقيم في الولايات المتحدة منذ سبعينات القرن الماضي.

وتميز بسجل حافل من الأوسمة والجوائز والتكريمات، بدءاً من تكريمه بجائزة «أفضل لاجئ» من قبل وزارة الخارجية الأمريكية عام 1991، إلى ميدالية «جزيرة إليس ايسلاند» الشرفية عام 2007، ثم جائزة الإبداع الطبي في نيويورك عام 2022 متفوقاً على أكثر من ثلاثة آلاف طبيب من 100 دولة، وكذلك لقب أفضل طبيب في ولاية لويزيانا عام 2021، إضافة إلى جائزة «ألفا أوميغا ألفا»، وأيضاً جائزة أفضل طبيب مقيم لخمس سنوات. وخدم بأعماله الميدانية في كوردستان وفيتنام والفلبين وهندوراس ونيكاراغوا و زامبيا.

وفي عام 2017 اختير زيباري رئيساً لمؤسسة الكبد والبنكرياس والقنوات الصفراوية الأمريكية، ويتولى رئاسة لجنة العلاقات الدولية في الجمعية الأمريكية لجرّاحي زراعة الأعضاء فى سنة 2024.

ويقول زيباري لـ«كوردستان بالعربي» إنه «لولا دعم ومساندة زوجتي ميسون زيباري وأطفالي لما تمكنت من تحقيق أهدافي، لا سيما أن تربية أربعة أطفال في أمريكا أمرٌ في غاية الصعوبة، وأشعر أن زوجتي ربّت أطفالنا بمفردها».

وأشاد بأخيه الأكبر الجنرال بابكر زيباري، الذي كان بمثابة الأب والمرشد له بعد فقدان والده في سن مبكرة.

الصورة: هيمن بابان رحيم

الرئيس مسعود بارزاني مع مجموعة من الأطباء بينهم غازي زيباري

سنوات عجاف.. حروب ولجوء

وُلد الدكتور غازي زيباري عام 1955 في قرية «بيرة كبره» الواقعة خلف جبل پيرس في منطقة زيبار، وأكمل دراسته في المرحلة الابتدائية، وفصل من الدراسة الثانوية في ناحية دينارتة و في قضاء عقرة، وأكمل الجزء الآخر في ناحية مانكيش.

ثم التحق بإعدادية كاوه في دهوك.. وفيما بعد أجبره الخوف من قصف طائرات الحكومة العراقية على الرجوع إلى ناحية مانكيش في 19 من شباط 1974، التي قُصفت في 24 من نيسان من العام نفسه، تزامناً مع قصف مدينة قلعة دزة التابعة لمحافظة السليمانية، والتي راح ضحيتها أكثر من 144 بروفيسوراً وأستاذاً جامعياً وطالباً، فيما خلف قصف مانكيش ستة جرحى (مسلمين ومسيحيين وإيزيديين).

احتمى زيباري في جبل بيسفكي بمدرسة تابعة للثورة التحررية الكوردية لإكمال دراسته الإعدادية. وبعد نكسة ثورة أيلول التحررية نتيجة إبرام اتفاق الجزائر السيئ الصيت عام 1975 بين إيران والعراق، توجه لاجئاً إلى مخيم «زيوه» بمقاطعة اورميه في الكوردستان الشرقيه في ايران، حيث كان قاطنوه لاجئين كورداً فارين من بطش النظام البعثي.

بين إيران وأمريكا.. رحلة بين الحسرة والأمل

وبعد إكمال الامتحانات الوزارية للصف السادس الإعدادي عام 1975، توجه زيباري في العام التالي إلى أمريكا. لأن معارضته لنظام البعث وانخراطه في صفوف الحركة التحررية الكوردية، حرماه من الحصول على شهادة الإعدادية الرسمية، الأمر الذي تسبب في رفض إيران قبوله في جامعاتها.

وبنصيحة من أخيه الأكبر الجنرال بابكر زيباري وأقاربه، توجه بتأييد من الحزب الديمقراطي الكوردستاني هو و واحد وعشرون من رفاقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال الدراسة الجامعية، وشكلوا أول دفعة من الكورد الواصلين لأمريكا، وخاصة إلى مدينة ناشفيل في ولاية تنسي.

يكشف زيباري أنهم واجهتهم مشكلة عدم وجود أوراق تثبت تخرجهم من الإعدادية. «لكن ولس أوينس وفرانكلن جونز، وهما بروفسوران جامعيان كانا سبباً لقبولنا في المعهد التقني بعد أن صارا كفيلين لنا، واشترط المعهد الذي كان يستقبل الطلاب الأجانب الحصول على معدلات عالية، لتكملة دراستنا، والحمد لله حصلنا على معدلات A عدا طالبين حصلا على تقييم B».

أسرار ثلاثة مفاتيح للنجاح

بالإضافة إلى ممارسة عمله كطبيب، كتب الدكتور غازي زيباري أكثر من 175 مقالاً، وألف كتباً علمية في الطب، وهو عضو في العديد من الجمعيات والمنظمات

زيباري في صورة تذكارية مع بعض الأطباء الأمريكيين

الطبية الأمريكية والعالمية.

وأضاف زيباري: «شرف عظيم وامتياز أن تم اختياري ضمن أفضل أطباء الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا منجز أهديه للإنسانية جمعاء، وخاصة الشعب الكوردي».

السياحة العلاجية والجراحة بالروبوتات

ولعودة زيباري إلى أرض الوطن بعد غربة دامت أكثر من 16 سنة، قصة يتذكرها قائلاً: «بعد عودتي إلى دهوك عام 1992 ذهبت إلى مستشفى آزادي المتأثر بظروف الحصار الاقتصادي المفروض والأوضاع التي تلت انتفاضة آذار لشعب كوردستان 1991، فوجدت وضعاً صحياً سيئاً للغاية من حيث قلة الأدوية والأطباء والأجهزة، لذا قررت أن أخصص إجازتي السنوية (شهر كامل) لخدمة بلدي حتى عام 2004».

ولم يكتفِ زيباري بجهوده الفردية، بل اصطحب معه العديد من الخبراء والأطباء للمساعدة على تحسين الوضع الصحي المضطرب، و«أجرينا العديد من العمليات الجراحية منها زراعة الكلى في مدينه أربيل وفي دهوك، ولحد الآن زرعوا اكثر من أربعة الاف كليه في كوردستان».

ويضيف زيباري أن القطاع الصحي في كوردستان «يشهد ازدهاراً لافتاً، لكن الوضع سيكون أكثر استقراراً عندما لا يحتاج مرضانا للذهاب إلى خارج كوردستان لتلقي العلاج».

ورأى زيباري أن كثرة المستشفيات في كوردستان والأطباء والأدوية دليل على تحولها إلى مركز علاجي، وخاصة لمواطني محافظات العراق الأخرى، ويشجع حكومة إقليم كوردستان على زيادة التخصيصات المالية للقطاع الصحي التي لا تتجاوز، حسب قوله، نسبة 1% من الميزانية، في حين تتجاوز النسبة في أمريكا 18%، مع الأخذ بنظر الاعتبار ما تعانيه كوردستان من ظروف اقتصادية تحول دون ذلك في المدى القريب.

ويثني زيباري على جهود وزارة الصحة في كوردستان وخططها، وخاصة فيما يخص مشروع الجراحة الروبوتية، الذي وصفه بأنه «موضوع في غاية الأهمية، وسيوفر لنا الكثير، وبالتأكيد سيرى المشروع النور خلال سنة، أي في عام 2027».

وعن صناعة الأدوية والمستلزمات الصحية في كوردستان التي تشجعها حكومة كوردستان، يردف قائلاً: «التخلص من الاستيراد أو تقليله إلى أبعد حد ممكن عمل جبار، وخاصة إذا رُكِّز على النوعية، وإنني فخور بما يُنجز في هذا المضمار».

وفي نهاية الحوار، عبّر زيباري عن اعتزازه بقوات البيشمركة، وبدورهم في الدفاع عن أبناء الشعب الكوردي، قائلاً: «لولاهم لما كنا نحن، وقد ساعدتهم كثيراً، وإنني مدين لهم بحياتي». ●

العراق في قلب التغييرات المناخية.. والنساء الأكثر تضرراً

يواجه العراق تحديات متشابكة على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والبيئية، غير أن أزمة الجفاف وشحّ المياه باتت من أخطر التحديات التي تهدد بنية المجتمع واستقراره. فقد أثّرت الأزمة بشكل مباشر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وألقت بظلالها الثقيلة على فئات بعينها، في مقدمتها النساء، لا سيما في المناطق الريفية التي تعتمد بشكل رئيسي على الزراعة وتربية المواشي.

تراجعت مناسيب المياه في نهري دجلة والفرات بصورة مقلقة خلال السنوات الأخيرة. وذلك نتيجة عوامل عدة، أبرزها التغيرات المناخية، وقلة الإطلاقات المائية من دول المنبع، إلى جانب ضعف الإدارة الداخلية للموارد المائية. وانعكس هذا الواقع بوضوح على القطاع الزراعي الذي يشكّل مصدر رزق أساسياً لملايين العراقيين، فقلّت المحاصيل، وجفّت الأراضي، وتفاقمت معدلات البطالة والفقر، ما دفع كثيراً من العائلات إلى الهجرة من الريف إلى المدن، بحثاً عن فرص بديلة للعيش.

أزمة الجفاف وشح المياه باتت من أخطر التحديات التي تهدد بنية المجتمع واستقراره في جنوب العراق

أم عباس... حكاية نزوح بسبب العطش

في محافظة الديوانية بجنوب العراق، كانت أم عباس (55 عاماً) تعيش حياة بسيطة لكنها مستقرة نسبياً. هي أم لخمس بنات، وكانت تعتمد مع أسرتها على الزراعة وتربية الدواجن. أدارت مزرعتها الصغيرة بنفسها، وساهمت في إعالة أسرتها، وكانت تشعر بالفخر لقدرتها على الإنتاج والمشاركة في تأمين دخل العائلة.

لكن مع تفاقم أزمة المياه، بدأت محاصيلها بالتراجع عاماً بعد آخر. جفّت الأرض التي كانت تمنحها القمح والخضروات، ونفقت أعداد من الدواجن بسبب نقص المياه وارتفاع درجات الحرارة. ومع ازدياد الخسائر، وجدت أم عباس نفسها أمام خيارين: البقاء في أرض لم تعد تعطي، أو الرحيل نحو المجهول.

اضطرت العائلة العام الماضي إلى الهجرة نحو محافظة كربلاء في وسط البلاد. هناك، واجهت تحديات جديدة؛ ارتفاع تكاليف المعيشة، وصعوبة الحصول على عمل، وضغوط اجتماعية لم تألفها في بيئتها الريفية. تقول أم عباس عن هذه التحديات إن الانتقال من حياة تعتمد على الاكتفاء الذاتي إلى حياة الإيجار والعمل اليومي كان صادماً، خصوصاً لبناتها اللواتي اضطرت بعضهن إلى ترك الدراسة للمساعدة في إعالة الأسرة.

المرأة الريفية.. المتضرر الأكبر

تعد منظمة الأمم المتحدة العراق خامس أكثر بلدان العالم تأثراً بالتغييرات المناخية وقد تضرر نحو 70% من أراضيه بجفاف المناخ. أما رئيس المركز الاستراتيجي لحقوق الإنسان فاضل الغراوي، فيؤكد أن تقرير من منظمة الهجرة الدولية يشير إلى أن أكثر من 172,000 شخصاً في العراق ظلّوا نازحين بسبب عوامل مناخية حتى مارس 2025، نتيجة الجفاف وفقدان سبل العيش في المناطق الريفية.

وفي هذا السياق، يؤكد خبير المياه تحسين الموسوي، في حديث لمجلة «كوردستان بالعربي»، أن النساء الريفيات هن الأكثر تضرراً من أزمة المياه، لأنهن يشكّلن العمود الفقري للأنشطة الزراعية والأسرية في الريف. فالمرأة لم تعد فقط ربة منزل، بل أصبحت تدير الحقول، وتشرف على تربية الدواجن والمواشي، وتشارك بفعالية في دعم الاقتصاد الأسري.

ويشير الموسوي إلى أن موجات الهجرة التي بدأت في مناطق الوسط والجنوب امتدت اليوم إلى معظم المحافظات، نتيجة فقدان الاستقرار المائي وتراجع الإنتاج الزراعي. وهذا النزوح لم يكن مجرد انتقال جغرافي، بل ترافقت معه آثار اجتماعية مقلقة، منها ارتفاع معدلات الطلاق، وزيادة حالات الزواج المبكر، وتفاقم الضغوط النفسية على النساء وكبار السن والأطفال، في ظل بيئة حضرية لا توفر دائماً بدائل اقتصادية كافية.

من ميسان.. قصة أم زهراء

وفي مدينة العمارة مركز محافظة ميسان، تروي أم زهراء (42 عاماً) قصة مشابهة. كانت تعيش قرب الأهوار، حيث يعتمد السكان على صيد الأسماك وتربية الجواميس، وتشكّل المياه مصدر الحياة والهوية معاً. لكن مع تراجع مناسيب المياه وجفاف أجزاء واسعة من الأهوار، نفقت أعداد من الجواميس، وتقلّصت الثروة السمكية بشكل حاد.

تقول أم زهراء إن أكثر ما يؤلمها لم يكن فقدان الدخل فقط، بل فقدان نمط الحياة الذي ورثته عن أجدادها. اضطرت الأسرة إلى بيع ما تبقى من مواشيها والانتقال في عام 2024 إلى أطراف المدينة. هناك، عمل زوجها بأجر يومي، بينما بدأت هي بخياطة الملابس في المنزل لتأمين دخل إضافي، محاولةً التكيّف مع واقع اقتصادي صعب ومسؤوليات متزايدة.

وتضيف أم زهراء أن الانتقال من بيئة الأهوار إلى أطراف المدينة لم يكن سهلاً، إذ تغيّرت طبيعة العلاقات الاجتماعية، وازدادت الضغوط المعيشية، ما جعلها تشعر بثقل المسؤولية أكثر من أي وقت مضى، خاصة في ظل ارتفاع درجات الحرارة وتراجع فرص العمل المستقرة.

المخاوف الحقيقية.. أزمة مستمرة

الحكومة العراقية أقرت بأن مخاطر شح المياه لا تزال قائمة. فقد صرّح مستشار رئيس الوزراء لشؤون المياه، طورهان المفتي، لمجلة «كوردستان بالعربي» أن الأزمة مستمرة رغم تحسن معدلات هطول الأمطار في بعض المواسم، مؤكداً أن العراق لا يزال بحاجة إلى كميات أكبر من المياه لضمان أمنه المائي.

وأشار إلى أهمية تعزيز ثقافة الترشيد والاستخدام الأمثل للمياه، فضلاً عن استمرار المباحثات مع الجانب التركي بشأن ملف تقاسم المياه، بانتظار استكمال التفاهمات الرسمية التي تضمن حقوق العراق المائية.

مخاطر صحية متفاقمة

من جانبه، يحذر طبيب الأسرة علي أبو طحين من التداعيات الصحية الخطيرة للجفاف والتغيرات المناخية. فالماء عنصر أساسي للحياة، وعندما تتردى نوعيته أو تقل كميته، تظهر أمراض عدة مثل الإسهال، والكوليرا، والتيفوئيد، والتسمم الغذائي. كما يؤدي شح المياه إلى انتشار الأمراض الجلدية والحساسية بسبب ضعف النظافة وارتفاع أعداد الحشرات.

ويضيف أبو طحين أن موجات الحر المتزايدة والعواصف الغبارية ترفع معدلات الإصابة بضربات الشمس والإجهاد الحراري، فضلاً عن تأثيراتها على الصحة النفسية والمزاج العام، خصوصاً لدى النساء اللواتي يتحملن أعباء إضافية في تأمين احتياجات الأسرة اليومية.

أزمة المياه في العراق لم تعد مجرد مسألة بيئية عابرة، بل تحولت إلى تحدٍ تنموي واجتماعي يمسّ صميم الاستقرار المجتمعي. وبينما تتواصل الجهود الرسمية لمعالجة الملف، تبقى النساء، ولا سيما في الريف، في الخط الأمامي للمواجهة، يدفعن الثمن الأكبر من صحتهن واستقرارهن ومستقبل أسرهن. إن معالجة الأزمة تتطلب رؤية شاملة تجمع بين الإدارة الرشيدة للموارد، والدعم الاجتماعي للفئات المتضررة، وتمكين النساء اقتصادياً لمواجهة آثار التغير المناخي المتسارعة وضمان حياة كريمة للأجيال القادمة. ●

الصور: عمر كريم

«وباء صامت»
يهدد نصف مليون أسرة

شنو الداودي
صحفية وكاتبة

«بعد أن طويت صفحة زواجي، عدتُ إلى بيت أهلي، لا كابنة مدللة، بل كأم تحاول أن تلملم شتات حياتها. عدتُ ولم أكن أملك مفتاح الباب الأمامي». بهذه الكلمات تختصر ليلى أحمد (34 عاماً) من كركوك رحلتها بعد الطلاق. استبدلت مملكتها الخاصة بغرفة مشتركة، وتحولت قراراتها الحرة إلى همسات استئذان في مطبخ والدتها. تقول: «كل صباح أرتدي قناع القوة أمام طفلي، لكني في داخلي كنت أتوق إلى أبسط حقوقي، البكاء مثلاً، وإغلاق باب لا يملكه أحد سواي. الصعوبة لا تكمن في توفير لقمة العيش فقط، بل في التكيف والعيش كابنة هذا البيت من جديد مع طفلين».

ملف تفكك أسري جديد كل 7 دقائق

قصة ليلى ليست استثناءً؛ فالعراق يسجل نحو 199 حالة طلاق يومياً، ما يعني أن ملف التفكك الأسري يُفتح تقريباً كل سبع دقائق. ووفقاً لآخر إحصائية صادرة عن مجلس القضاء الأعلى لعام 2025، سُجلت 71,528 حالة طلاق في عموم البلاد خلال عام واحد، مقابل أكثر من 300 ألف عقد زواج، أي أن كل حالة طلاق تقابلها تقريباً أربع إلى خمس زيجات.

وتصدرت بغداد (الرصافة ثم الكرخ) بنسبة 30.2%، ثم البصرة (29.7%)، فالقادسية (28.9%)، وميسان (26.2%)، وكربلاء (24.1%) في ترتيب حالات الطلاق.

الشرطة المجتمعية

في الجانب الميداني، تؤكد الشرطة المجتمعية أن دورها لا يقتصر على التدخل بعد وقوع المشكلة، بل يشمل برامج توعوية في المدارس والجامعات، وحملات للحد من العنف

سجلت العراق العام الماضي أكثر من 71 الف و500 حالة طلاق

الأسري، ونشر ثقافة الحوار داخل الأسرة للوقاية من الطلاق قبل حدوثه.

ويتحول التدخل من صلح مجتمعي إلى إجراء قانوني رسمي عند فشل الوساطة أو وجود عنف شديد أو تهديد مباشر، حيث تُحال القضية إلى الجهات القضائية المختصة حفاظاً على السلامة. ويمكن للأسر التواصل بسرية عبر الخط الساخن المجاني (497) أو الرقم (911) للحالات الطارئة، إضافة إلى المراجعة المباشرة لمكاتب الشرطة المجتمعية. ومن أبرز التحديات، التي تواجه بعض الحالات هي العادات الاجتماعية التي تمنع التبليغ، والخوف من الفضيحة، والضغوط الاقتصادية، وتعاطي المخدرات.

هل المشكلة في القانون أم في التطبيق؟

يرى المحامي عمر قحطان أن «وضع كركوك يجمع بين خصوصية محلية وأسباب عامة. فالتنوع القومي والديني واختلاف العادات الأسرية، إلى جانب التحولات الاقتصادية وعدم الاستقرار الوظيفي وموجات النزوح السابقة، خلقت ضغوطاً إضافية على الاستقرار العائلي، وعلى المستوى العام. كما أنه يشير إلى ضعف الثقافة الزوجية قبل الزواج، وتدخل العائلة الموسعة، واستخدام الطلاق كحل سريع بدلاً من المعالجة».

بعد مناقشة جرت بيني وبينه حول قانون الأحوال الشخصية رقم 188 لسنة 1959 (وتعديلاته) في تسهيل الانفصال بدلاً من احتوائه! كان رأيه يتمحور حول أن «المشكلة لا تكمن في وجود قانون الأحوال الشخصية بحد ذاته، بل في ضعف تطبيقه، وعدم تفعيل الوساطة الأسرية بشكل جدي، وبطء إجراءات النفقة والسكن بعد الطلاق»، مشدداً على أن «الحل يجب أن يعزز الصلح الإلزامي وينظم الحضانة والنفقة بشكل أكثر عدالة».

الآثار النفسية والاجتماعية

من جانبها، تؤكد سحر الزيدي، الباحثة في خدمات الصحة النفسية أن «المطلقة في المجتمع العراقي غالباً ما تواجه وصمة اجتماعية تهز ثقتها بنفسها وتفقدها الإحساس بالأمان، فضلاً عن ضغوط العودة إلى بيت الأهل والشعور بعدم الانتماء. وقد تتحول الصدمة العاطفية إلى اضطرابات نفسية مثل الاكتئاب والقلق، وهذا القلق يمتد أثره إلى الأطفال الذين قد يعانون فقدان الأمان أو تراجعاً دراسياً، أو سلوكاً عدوانياً أو انطوائياً، مؤكدة أن طريقة إدارة الطلاق هي ما يحدد حجم الأضرار».

ويرى الحقوقي علي المولى أن «غياب المسكن المستقل يمثل أحد أبرز أسباب النزاعات، إذ تبدأ الحياة الزوجية داخل بيت أهل الزوج، مما يولد احتكاكات بسبب اختلاف البيئات. ومع صعوبة توفير سكن مستقل في ظل الظروف الاقتصادية، تتفاقم الخلافات وصولاً إلى الطلاق. بالإضافة إلى وجود منصات التواصل الاجتماعي وتنوع الكماليات في الحياة من أزياء ومطاعم ومولات وسفر وغيرها، يحاول الزوجان تقليد هؤلاء من دون مقارنة دخل الزوج مع متطلبات هذه الكماليات بالنتيجة تؤدي إلى الطلاق».

تشخيص ديني لأسباب الطلاق

أما من الناحية الدينية فيؤكد الشيخ الدكتور سامال جبار البازياني أن «الدين لا يبرر الطلاق المتزايد بل يدين أسبابه، محدداً مكامن الخلل في عدة مستويات متداخلة، منها:

1. الخلل في الوعي الديني، الذي يختزل الدين في طقوس مع غياب فقه الأسرة.

2. الخلل في مرحلة الاختيار والتأسيس، حيث يتم الزواج أحياناً بدافع الضغط الاجتماعي لا القناعة، مع تغليب المظاهر على جوهر الخلق والدين، وغياب التأهيل المسبق، وكأن الأسرة تُدار بالارتجال.

3. الخلل الأخلاقي والقيمي المتمثل في ضعف الصبر، وانعدام ثقافة الاحتواء، وتضخم الأنا، ورفض التنازل المتبادل، فضلاً عن تأثير وسائل التواصل الاجتماعي في رفع سقف التوقعات الوهمية.

4. وأخيراً، الخلل الاجتماعي والاقتصادي الذي يشمل الضغوط المعيشية، والبطالة، وتدخل الأهل المفرط، مما يحول الخلافات البسيطة إلى صراع كرامة ونفوذ.

أمام هذا التشخيص العميق للخلل في الوعي والقيم، يتبادر في الأذهان سؤال: كيف يمكن تحويل هذه الرؤى إلى خطوات عملية على أرض الواقع؟ خطوات تبني الأسرة على أساس متين قبل أن تبدأ رحلتها. ومن هنا نجد نقطة الالتقاء مع رؤية الحقوقي علي المولى الذي يرى أن المواجهة لا تبدأ في المحاكم، بل قبل ذلك بكثير، إذ يقترح «أن يكون هناك دور محوري لمنظمات المجتمع المدني من خلال فتح دورات إلزامية للمقبلين على الزواج على أن لا تكون هذه الدورات مجرد إجراء شكلي، بل برامج تأهيل شاملة تفهم الزوجين المصاعب التي قد تواجههما بعد الزواج وكيفية التصدي لها بأدوات عملية مثل التواصل الفعال وإدارة النزاعات، لأن الاستثمار في وعي الزوجين قبل الزواج هو خط الدفاع الأول لحماية الأسرة من الانهيار لاحقاً».

> **من أبرز التحديات التي تواجه بعض حالات الطلاق هي العادات الاجتماعية التي تمنع التبليغ، والخوف من الفضيحة، والضغوط الاقتصادية، وتعاطي المخدرات**

وبعد ملاحظة الأرقام المتصاعدة لحالات الطلاق في العراق، ندرك أنها ليست مجرد إحصائيات جافة، بل هي صرخة استغاثة تنطلق من قلب المجتمع. فخلف كل رقم هناك «ليلى» تحاول استعادة هويتها، واستقرارها وأمنها النفسي، وأطفال يواجهون مستقبلاً مربكاً. فالحل لا يكمن فقط في تعديل القوانين أو تفعيل الوساطة، بل في ثورة وعي تبدأ من تأهيل المقبلين على الزواج، وإعادة الاعتبار لقيم الصبر والاحتواء، بعيداً عن بريق المقارنات الزائفة على منصات التواصل الاجتماعي. ●

التزلج في كوردستان

رياضة تبحث عن مكانها عالمياً

في السادس عشر من فبراير 2026، لم يكن جبل كورك مجرد قمة جبلية تعلوها الثلوج؛ كان مسرحاً لحدث بات تقليداً سنوياً راسخاً. احتضن المنتجع نسخته الخامسة من مهرجان الثلج والتزلج، بمشاركة أكثر من خمسين رياضياً من داخل العراق وخارجه، ومن دول أوروبية، فضلاً عن الرياضيين المحليين من مناطق إدارة سوران المستقلة.

امتد الحدث على مدى يومين حافلين بالمسابقات والفعاليات الترفيهية، وكشف هونر محمود، رئيس قسم تكنولوجيا المعلومات في سياحة سوران، أن المهرجان يهدف إلى تعزيز السياحة الشتوية واستقطاب الزوار من وسط العراق وجنوبه، إلى جانب السياح الأوروبيين. ولفت إلى أن كورك يظل المنتجع الوحيد في العراق الذي يحتضن هذا الحدث، مؤكداً أن ثمة إمكانات حقيقية لتطوير مساراته واستضافة بطولات رسمية في السنوات القادمة.

هذا الزخم لا يُخفيه الرقم وحده، بل يُجسّده أيضاً من يُقبلون على المنحدرات يوماً بعد يوم. محمد حاجي، الشاب الثلاثيني من قضاء جومان، واحدٌ من هؤلاء؛ يشارك في المهرجان منذ خمس سنوات متواصلة، ولا يُفوّت موسماً.

الصور: سفين حميد

هوشمند دركلي (يسار) لدى استلامه إحدى الجوائز

يقول لـ«كوردستان بالعربي» بابتسامة لا تفارق وجهه: «هي متعة حقيقية تجلب لي سعادة لا توصف، وفي كل عام أُدرك أنني أصبحت أفضل مما كنت عليه». شهادة حاجي ليست استثناءً، بل هي صدى لأصوات جيل يكتشف في التزلج هويةً رياضية لم يعهدها آباؤه.

وهو ما يؤكده أيضاً هوشمند دركلي، المتزلج الكوردي الحائز جوائز دولية، الذي يرى في هذه الرياضة «وسيلةً للمتعة والترفيه وإظهار المهارات»، مُقراً بأنها لا تزال ناشئة في الإقليم، «لم تكن بشكل واسع من قبل، لكن السنوات الأخيرة حملت تحولاً حقيقياً بفضل الاهتمام الحكومي المتزايد، والإقبال الكبير من الجيل الجديد». ويذهب دركلي إلى أبعد من ذلك حين يرى أن التزلج سيغدو «عاملاً محورياً في تطوير السياحة الشتوية»، لا سيما مع ما يتيحه من فرص لاستقطاب رياضيين إقليميين ودوليين، غير أنه يشترط لذلك تجاوز عقبة جوهرية: «نحتاج إلى ملاعب جديدة أكثر ملاءمةً في مواقع متعددة؛ لا يمكن أن نضع كل رهاناتنا على جبل كورك وحده».

الرهان على التنويع الجغرافي يتقاطع مع رؤية الجانب الرسمي تماماً. فالدكتور فيصل صادق توفيق، المدير العام للسياحة في إدارة سوران المستقلة، يؤكد في تصريح حصري لمجلة «كوردستان بالعربي» أن المنطقة تزخر بمواقع جبلية تمتلك مقومات طبيعية واعدة لتوسيع نطاق السياحة الشتوية، من بينها جبل حسن بك وزوزك وحاجي عمران وسكران وهلگورد، فهذه المواقع «تحتاج فقط إلى بنية تحتية وخدمات تؤهلها لاستقبال السياح». ويرسم توفيق صورة أشمل لمسيرة كورك، إذ يصفه بأنه «أهم المشاريع السياحية في الإقليم وأبرزها»، مستقطباً آلاف السياح سنوياً، ومُتصدّراً قائمة الوجهات الشتوية على مستوى كوردستان.

ويكشف توفيق أن المديرية تعمل ضمن رؤية استراتيجية متكاملة «تهدف إلى ترسيخ مكانة كورك كمنتجع شتوي من الطراز الأول، عبر تطوير البنية التحتية وتنظيم مسارات التزلج وتحسين منظومة النقل والتلفريك، إضافة إلى تشجيع الاستثمارات السياحية النوعية». ومن أبرز ما تحقق في هذا الإطار افتتاح فندق «راديسون بلو» ذي الخمس نجوم الذي «شكّل إضافة نوعية لقطاع الإقامة في المنطقة»، فيما يجري العمل على استكمال أكبر مسبح في الإقليم، بهدف تحويل كورك إلى وجهة سياحية نشطة على مدار العام ولا تتوقف عند نهاية موسم الثلوج.

هذا التوجه يترجمه هونر محمود بأرقام أكثر تفصيلًا؛ إذ يشير إلى أن الحكومة ضخّت استثمارات تجاوزت 7.5 مليار دولار في البنية التحتية خلال خمس سنوات، في إطار خطة استراتيجية شاملة تُشرف عليها مباشرةً رئاسة الوزراء في إقليم كوردستان، وتستهدف استقطاب عشرين مليون سائح بحلول عام 2030. ويُشدّد محمود على أن الاستدامة تتطلب خطوات عملية لا تقبل التأجيل، في مقدمتها توفير آلات تصنيع الثلج الاصطناعي لتعويض شُح التساقط الطبيعي في بعض المواسم، وتوسيع المسارات لتستوعب مستويات متقدمة، وتدريب كوادر محلية متخصصة، وتبنّي استراتيجية تسويق دولية فاعلة.

وعلى صعيد الأثر الاقتصادي، يُبيّن توفيق أن موسم التزلج لم يعد حدثاً رياضياً معزولاً، بل بات محركاً اقتصادياً حقيقياً «ينشّط قطاعات الفنادق والمطاعم والنقل والأسواق الشعبية، ويوفر فرص عمل واسعة لا سيما للشباب»، مع توقعات بمضاعفة أعداد الزوار التي تشهد ارتفاعاً ملحوظاً من عام إلى آخر، فور اكتمال المشاريع الجارية.

كل هذه الشواهد تصبّ في خلاصة واحدة: جبل كورك لم يعد مجرد منتجع موسمي يصحو مع الثلج وينام معه، بل يسعى ليكون نموذجاً لسياحة جبلية متكاملة تضع كوردستان على الخارطة الشتوية الدولية. والطريق إلى ذلك، كما يتفق الجميع، يمر عبر الاستثمار في البنية التحتية، وتنويع المواقع، وصناعة جيل من الرياضيين الذين يرون في كل موسم ثلجي فرصةً جديدة للنمو، تماماً كمحمد حاجي الذي يعود كل عام إلى المنحدرات، لا لأنه مضطر، بل لأن الثلج علّمه أن التقدم لا يتوقف. ●

”

حكومة الإقليم ضخّت استثمارات تجاوزت 7.5 مليار دولار في البنية التحتية خلال خمس سنوات، في إطار خطة استراتيجية تستهدف استقطاب 20 مليون سائح بحلول عام 2030

“

شناشيل البصرة

ماضٍ جميل وحاضر مهدد

شهد أحمد

مخرجة سينمائية

في الأحياء القديمة لمدينة البصرة، أو «فينيسا الشرق» كما تلقب أحياناً، لا تزال شرفات خشبية مزخرفة بالزجاج الزاهي الألوان، وتسمى «الشناشيل»، تطل على الأزقة الضيقة لتزيين البيوت التراثية البهيجة التي، رغم الظروف المناخية القاهرة والإهمال، تقف صامدة لتتجلى صورة فريدة تحمل في طياتها عبق التاريخ وجمال المعمار العريق.

الشناشيل ليست مجرد بقايا عمرانية شاهدة على ماضي المدينة العتيق، يعود تاريخ تشييدها إلى العصر العثماني بعد دخولهم العراق، بل تتخطى كونها مجرد بروزات خشبية إلى عنصر معماري ومشهد سينمائي مفتوح يستقطب عدسات المصورين وصنّاع الأفلام ويغري السياح والزائرين لاتخاذها وجهة سياحية. بل ويسعى القائمون على إدارة آثار وتراث المحافظة إلى المواظبة عليه لضمها إلى لائحة التراث العالمي كأحد المعالم الأثرية.

140 بيتاً تراثياً معظمها مهددة بالاندثار

الشناشيل، وهي الشرفة والجزء البارز من الطابق العلوي المشغول بالخشب من البيوت التراثية، والمخصصة للجلوس

واستقبال الضوء والهواء، تعود انتشارها في البصرة إلى القرن السادس عشر ميلادي. أما أصل الكلمة فيعود إلى اللفظ الفارسي «شاه نشين» الذي يعني «مكان جلوس الملك» أو «المجلس المرتفع» لتتحول اللفظة فيما بعد الى «شناشيل».

لم يُفقد غبارُ الزمن ولا تجاعيده ولا تآكل شرفات الشناشيل من جماليتها، إلا أن الاستمرار في إهمالها يمكن أن يعجّل في فقدانها واندثارها، حيث لم يبقَ منها اليوم سوى 140 بيتاً فقط موزعة بين الأحياء والمناطق القديمة كحي النظران، وشارع بشّار، ومنطقة السيف، والعشار، والبجاري، وأبو الخصيب، والسيمر.

ضرورة إصلاح ما أفسده الدهر

تعاني معظم بيوت الشناشيل من رطوبة عالية وتشققات وتآكلات أفقدت الحيطان تماسكها الإنشائي. هذا ما يجعلها مهددة بالزوال وآيلة للسقوط والاندثار، إلا أن بعض قاطني البيوت متمسكون بها، إما لعدم توفر بدائل سكنية أو لارتباطهم العاطفي بالمكان الذي يمثل لهم أكثر من مجرد مأوى. وهنالك بيوت ارتبطت برموز ثقافية بارزة مثل بيت الشاعر بدر شاكر السياب وبيت الأقنان، ما يجعل الحفاظ عليها مسؤولية ثقافية تتجاوز حدود الترميم الشكلي..

وبما أن العراق يسعى، ومنذ سنوات، لضم الشناشيل إلى لائحة التراث لمنظمة يونيسكو. لذا توجد ضرورة ملحة وعاجلة لمعالجة هذه المشاكل ومحاولة ترميمها. لأن استمرار هذا الوضع يعني فقدان جزء مهم من التراث العمراني والثقافي مما يؤدي الى اندثاره.

وقد انطلق عام 2022 مشروع «إحياء مدينة البصرة القديمة» بعد منحة من الاتحاد الأوروبي لتأهيل عدد من البيوت التراثية وجعلها مركزاً ثقافياً في المحافظة لإنعاش السياحة والاقتصاد. وقد أسفرت هذه الجهود عن إعادة تأهيل حوالي 11 بيتاً حتى الآن.

ويقول الدكتور علي عبيس كرنفل المعموري، مدير مفتشية هيئة آثار وتراث البصرة، في لقائه مع مجلة «كوردستان بالعربي» إن الهيئة نفذت سابقاً وبالتنسيق مع الحكومة المحلية في البصرة والتنسيق مع الحكومة الاتحادية «أعمال ترميم وتأهيل لعدد من المباني التراثية. لكن وبسبب الضائقة المالية لم يكتمل المشروع». وعبر المعموري عن أمله في العمل بجهد كبير «لتنفيذ كل المعايير التي تؤدي إلى تسجيل الشناشيل، التي تشكل جزءاً مهماً من البيوت التراثية، على قائمة التراث العالمي لمنظمة يونيسكو».

الصورة: هيمن بابان رحيم

الصورة: محمد الصفير

جمعية الفنانين التشكيليين - فرع البصرة تتخذ مقرها في منزل تراثي بواجهة ذات شناشيل

الشناشيل والسينما.. مكان لصنع الصورة

مع التطور العمراني الذي تشهده البصرة، لا تزال البيوت التراثية أو بيوت الشناشيل تجذب نظر العديد من المخرجين وتدغدغ مخيلتهم بوصفها قابلة لاتخاذها مواقع تصوير تختصر الزمن داخل الصورة. فهذه البيوت لا تمنح خلفية جاهزة فحسب بل تفرض منطقها الجمالي والدرامي على العمل السينمائي. فالمخرج السينمائي الدكتور بهاء الكاظمي مثلاً، يصف العمل داخل بيوت الشناشيل في البصرة بأنه «انغماس في كائن حي يفرض شروطه الجمالية على الكاميرا»، موضحاً أن هذه البيوت بفتحاتها الخشبية وهندستها الفريدة تمنح المخرج «دراما بصرية جاهزة، حيث يتشكّل المعنى من خلال حركة الضوء وصمت الجدران».

ويشير الكاظمي إلى أن الشناشيل في أفلامه لم تكن مجرد مكان للتصوير بل «البطل والمكان والزمان في آنٍ واحد»، إذ تمنح نوافذها الخشبية «سيطرة طبيعية على تدفّق الضوء وتعمل بوصفها فلاتر طبيعية تقسّم المساحات بين الظل والضوء بما يخدم الحالة النفسية للشخصيات».

وخلال تجربته أثناء تصوير فيلم «بندقية الشرق» في منطقة «البجاري» بالعشار، لاحظ المخرج العراقي تحول البيت الشناشيلي إلى كاشف لطبقات من الحنين المختبئ في الخشب العتيق، فيعود بطل الفيلم (الفنان سامي قفطان) بدافع الحنين ليموت في بيته القديم ويُدفَن إلى جوار والديه. فلم تكن الشناشيل مجرد خلفية بل أداة لاكتشاف جذور الشخصية وارتباطها بالأرض.

ويؤكد الكاظمي أن إخراج هذه المشاهد المصورة في بيوت الشناشيل من الفيلم يعني خسارة «الصدق التاريخي» و«الملمس البصري» الذي لا يمكن تزييفه؛ فصوت الخطوات على الخشب القديم وتوزيع الظلال المنكسرة على الوجوه، كلها عناصر تمنح المشهد عمقاً واقعياً وتتحوّل الصورة بدونها إلى ديكور صامت يفتقر إلى روح المدينة.

إعادة توظيف بيوت الشناشيل

وإلى جانب حضورها السينمائي، شهدت بعض بيوت الشناشيل محاولات ترميم وإعادة توظيف، لا سيما تلك التي أُشرفت عليها الحكومة المحلية في البصرة وتحول عدد منها لاحقاً إلى مراكز ثقافية وفنية مثل (اتحاد التشكيليين، واتحاد الأدباء، وبيت التراث ومركز المخطوطات والتراث البصري). وهذا التحوّل أسهم في إبقاء هذه البيوت حيّة داخل المشهد الثقافي بدل أن تتحوّل إلى مبانٍ مهجورة.

كما برزت مبادرات ثقافية خاصة وبدعم من منظمات المجتمع المدني لاستثمار بعض البيوت الشناشيلية وتحويلها إلى ملتقيات ومتاحف صغيرة من بينها (ملتقى رازونة الثقافي) و(متحف الحسون)، إضافة إلى (بيت باشا أعيان) الذي يضم مكتبة ثقافية أعادت للمكان دوره المعرفي والاجتماعي.

ومن جانب آخر، يرى فنانون أن بيوت الشناشيل ممكن توظيفها كقاعات عرض ممتازة، مثل الفنان التشكيلي الدكتور رائد حسن شري الذي يؤكد أن هذه البيوت تشكّل جزءاً من مساحة العرض نفسها حيث تصبح الجدران المبنية من الطابوق والزخارف الهندسية عنصراً بصرياً مكمّلاً للعمل الفني لا عائقاً أمامه. ويشير إلى أن الأجواء داخل بيوت الشناشيل أكثر إيجابية من قاعات المراسم التقليدية، لما توفره من مساحات مفتوحة تبعث على الراحة النفسية، فضلاً عن جمالية المكان التي تعيد الفنان إلى ذاكرة الطفولة وتمنحه طاقة إبداعية تنعكس على نتاجه الفني.

استخدام الشناشيل لمآرب أخرى

أخيراً، لم تعد الشناشيل حاضرة فقط في السينما والفن، بل وتستعمل كمواقع لجلسات تصوير تخرج طلاب الجامعة وحفلات الزفاف والجلسات الفردية لما تحمله من إحساس بالهوية والحنين. إلى جانب أنها باتت محطة رئيسية للسياح والأجانب ونافذة للتعرّف على تاريخ المدينة وهي ذاكرة حية في قلب المدينة.

الأسباب أعلاه أدت بالمهندسين والمطورين إلى إعادة تشكيل الشناشيل في المباني الحديثة، فاحتضنت الواجهات الجديدة بروزات خشبية وزخارف مستوحاة من الشناشيل التقليدية بطريقة عصرية ليصبح النمط جزءاً من المشهد العمراني. ●

الصورة: هيمن بابان رحيم

لم يبق من المنازل ذات شرفات الشناشيل في البصرة سوى 140 بيتاً

العزلة الجبلية

تصنع ملامح وراثية مميزة

في إقليم كوردستان العراق، تلفت قريتان صغيرتان الأنظار بظاهرة بصرية نادرة: شيوع العيون الزرقاء والخضراء بين سكانهما بنسبة لافتة. تقع القرية الأولى «شكفتاني» في قضاء عقرة (آكري) التابع لمحافظة دهوك، والثانية «دولّه پَموو»، في منطقة شارباژێر شمال شرقي محافظة السليمانية. هناك، وبين كبار السن خاصة، تتكرر هذه العيون الملونة في مشهد يبدو استثنائياً مقارنة بباقي مناطق العراق.

ماذا يقول العلم عن لون العيون؟

تحدث الباحث في العلوم البيولوجية الدكتور كاويس عزيز فرج، عن الظاهرة موضحاً، أن لون العيون لا ينتج عن صبغة زرقاء بل عن انخفاض في كمية الميلانين داخل القزحية.

وأضاف لـ«كوردستان بالعربي» أن «هذا التغيير الجيني قديم نسبياً، ويُعتقد أنه نشأ قبل آلاف السنين وانتشر في مناطق أوراسيا. وجوده في قرية معينة معزولة لا يعني أصلاً عرقياً مختلفاً، لكنه قد يصبح أكثر وضوحاً إذا كان المجتمع صغيراً ومعزولاً».

وتبين دراسة منشورة في مجلة (Human Genet-ics) في عام 2008، أن اللون الأزرق يرتبط بتغير جيني في منطقة تنظيمية ضمن جين يُعرف بـ(HER2) يؤثر على نشاط جين (OCA2) المسؤول عن إنتاج الميلانين.

الدراسة بينت أن هذا التغيير الجيني يُرجح أنه نشأ قبل نحو 6 إلى 8 آلاف سنة، وانتشر في مناطق واسعة من أوروبا وآسيا، لكن وجود هذه الطفرة في مجتمع ما لا يعني أصل أوروبي أو هجرة حديثة. إذ أن المتغيرات مرتبطة بلون العين وموجودة بنسب متفاوتة في الشرق الأوسط والأناضول والقوقاز أيضاً.

تفسير وراثي محتمل.. تأثير المؤسس والعزلة

يقول الدكتور كاويس إننا «لو أردنا تبسيط الأمر، فإن جميع سكان شكفتاني يشبهون عائلة واحدة كبيرة. الصفة الوراثية التي كانت نادرة في الجد الأول أصبحت شائعة لأن الأحفاد تزاوجوا فيما بينهم طويلاً، ولو تزوج أحد أبناء القرية من شخص من خارجها، فإن أولاده سيحملون الصفة بشكل أخف ومع استمرار الاختلاط ستتلاشى الظاهرة تدريجياً».

إذا كان عدد السكان محدوداً، والزواج يتم غالباً داخل المجتمع نفسه، فإن بعض الصفات، حتى لو كانت نادرة في المحيط الأوسع، قد ترتفع نسبتها بمرور الوقت. هذا الإطار العلمي يقدم تفسيراً محتملاً لما يُلاحظ في «شكفتاني» و«دولّه پَموو» من دون الحاجة إلى افتراضات حول أصول استثنائية أو هجرات غير موثقة.

مفهومان للظاهرة

في علم الوراثة، يوجد مفهومان يفسران ما حدث في القريتين، وأية منطقة معزولة أخرى:

- تأثير المؤسس: عندما تستقر مجموعة صغيرة في مكان

الصور: محمد سالم

ما، فإن الصفات الجينية التي يحملها أفرادها قد تصبح أكثر شيوعاً في الأجيال اللاحقة.

- الانحراف الجيني: تغييرات عشوائية في تواتر الصفات الوراثية داخل المجتمعات الصغيرة.

رأي الأهالي في الظاهرة

«كوردستان بالعربي»، زارت قرية «شكفتان» التي يعيش فيها نحو 300 نسمة موزعين على 40 أسرة، والتقت أحد سكانها ويدعى حكيم علي، الذي قال للمجلة إن «معظم أهالي القرية تجمعهم صلة قرابة، وكثير منا ورثوا لون العيون من الآباء والأجداد، والزواج من خارج القرية كان محدوداً لفترة طويلة».

أما في قرية «دولّه پَموو»، فعلق أحد سكانها على ظاهرة لون عيون أبنائها بالقول: «في الماضي كان أغلب الزيجات تتم بين أبناء القرية. ولهذا بقيت الصفات داخل الأسر، لكن في السنوات الأخيرة تغير الوضع وأصبح الزواج من خارج القرية والمنطقة شائعاً. لذا ترى الأجيال الجديدة تبدو أقل تجانساً مع الطبيعة المعروفة عن القرية مقارنة بكبار السن».

مشير علي سعيد.. من سكان قرية شكفتي في قضاء آكري

مقارنة عالمية

الموقع	اسم القرية	عدد السكان التقريبي	نسبة انتشار العيون الزرقاء والخضراء	السبب الرئيسي	حالة الانفتاح الحالية
كوردستان - دهوك	شكفتاني	٣٠٠ نسمة – ٤٠ أسرة	اكثر من ٧٠٪ من السكان	عزلة جغرافية - تزاوج داخلي	انفتاح محدود بدأ متأخراً
كوردستان - السليمانية	دولّه پَموو – وادي القطن	غير محدد	غالبية السكان	تزاوج داخلي وعدم الزواج من خارج المنطقة	شهد انفتاحاً في السنوات الأخيرة وبدأت العادات تتغير
شمال غرب الصين	ليتسيان	عدة مئات	نسبة مرتفعة بشكل لافت	عزلة جغرافية تاريخية في واد ناء	بدأ الانفتاح مع تحسن الطرق
آيرلندا	ظاهرة عامة	غير محدد	أعلى نسبة في العالم (+٤٠٪)	تراكم جيني تاريخي بسبب العزلة الجزيرية	مجتمع منفتح لكن الصفة منتشرة
جزر سليمان	قرى معزولة	غير محدد	وجود أشقر الشعر مع عيون زرقاء	طفرة جينية محلية مختلفة عن الأوروبية	عزلة جغرافية مستمرة

قصة محلية وأسئلة مفتوحة:

ما يجعل «شكفتاني» و«دولّه پَموو» جديرتين بالاهتمام ليس لون العيون بحد ذاته، بل كونهما مثالين عمليين لكيفية تفاعل الجغرافيا مع الوراثة. القريتان تقدمان حالة يمكن أن تثير اهتمام الباحثين في مجالات الوراثة السكانية والأنثروبولوجيا، خاصة في منطقة جبال زاگروس التي تُعد تاريخياً ممراً بشرياً مهماً عبر آلاف السنين. لكن حتى إجراء دراسات جينية ميدانية موسعة تبقى الظاهرة في إطار الملاحظة المحلية المدعومة بتفسيرات علمية عامة لا أكثر.

الصفة الوراثية التي كانت نادرة في الجد الأول أصبحت شائعة لأن الأحفاد تزاوجوا فيما بينهم طويلاً

أنامل رقيقة تحول الخردة الى تحف

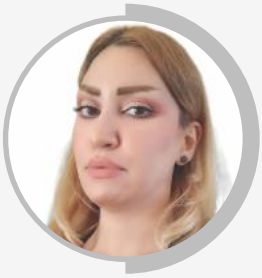

فاطمة قاسم حبيب

صحفية وكاتبة

في أحد أسواق السليمانية القديمة، بين أكوام قطع الأنتيك المُغبرة والتحف المنسية، كان زوجها يمضي ساعات يقلّب في وجوه الساعات العتيقة التي توقف الزمن عن عقاربها منذ نصف قرن. لم تكن ميديا ترى فيها مجرد معادن صدئة أو زجاج مُعتم، بل كانت ترى إمكانية للحياة، قصة تنتظر من يرويها. تقول ميديا ضاحكة: «كان زوجي يقول لي إنه يجمعها للاستثمار، وأنا كنت أراها مجرد (خردة) تشغل مساحة البيت. لكن الله يقدّر الخير حيث يشاء، من هذه (الخردة) صنعتُ اسمي».

هكذا تبدأ حكاية امرأة في الخامسة والأربعين، لم تكمل تعليمها بعد الصف الثالث المتوسط، لكنها اليوم توقع إبداعاتها من اللؤلؤ الطبيعي والأحجار الكريمة على منصات العرض في كوردستان وخارجها. ميديا عمر ليست مجرد مصممة إكسسوارات، بل حارسة لذاكرة شعب، تعيد صياغة التراث بأصابع لم تعرف يوماً سوى الخياطة والحلم.

الصور: ناصح علي خياط

بعض الأعمال الفنية لميديا

الرحلة التي بدأتها بإبرة خياطة

لم يكن طريق ميديا مفروشاً بالورود. ففي قرية كوردية صغيرة، كان الحلم بالتصميم ترفاً لا تتحمله جيوب العوائل البسيطة. تروي ميديا في لقاء مع «كوردستان بالعربي»: «كنت أخيط أثوابي بنفسي، ليس لأنني كنت موهوبة، بل لأن شراء الجاهز كان مكلفاً. كنت أقضي ساعات طويلة لأطرز فستاناً لمناسبة، وعيون أمي تملؤها الدموع خوفاً عليّ من التعب، وفرحاً بما أصنع». هذا الصراع المبكر بين الإرادة والإمكانيات المحدودة هو ما شكّل فلسفتها لاحقاً: «الجمال ليس غالياً، لكن الأصالة تحتاج إلى صبر»، أضافت ميديا.

من زاوية زوجية إلى ورشة إبداع

كانت نقطة التحول الحاسمة في عام 2020، عندما خرجت ميديا من عباءة الخوف إلى فضاء المعارض. الداعم الأول كان زوجها الذي لم يتردد لحظة في وضع مجموعته الثمينة من الساعات تحت تصرفها. تقول ميديا وعيناها تلمعان: «لم يقل لي هذه مقتنياتي الثمينة. بل قال: جربي، إن فشلتِ فالساعات ستعود إلى مكانها، وإن نجحتِ فسينجح حلمنا معاً».

هذا الدعم اللامحدود من الزوج، في مجتمع قد لا ينظر بعين الرضا لخروج المرأة إلى سوق العمل في هذا العمر المتأخر، كان بمثابة الوقود الذي أشعل شرارة الانطلاقة. النتيجة كانت أول مجموعة من الساعات المعاد تدويرها، والمحاطة بعقود من اللؤلؤ الأبيض، التي أحدثت ضجة في أول معرض فني مشترك.

سوق التصميم

ما يميز ميديا في سوق يزدحم بالمصممات هو إيمانها بأن الإكسسوار ليس مجرد زينة، بل امتداد للهوية. تقول: «كل حجر عندي له قصة. العقيق أحضره من الكهوف والجبال كنت أزورها مع جدتي. الفيروز أشتريه من تاجر كبير في أربيل، لكني أصر على أن يكون طبيعياً، لأن الصناعي ليس فيه روح».

هذه المبادئ في العمل جعلتها تمشي عكس التيار. عندما لجأت مصممات أخريات إلى المواد الرخيصة وسريعة الإنتاج، تمسكت ميديا بالغالي والنادر، الأمر الذي جعلها تخسر الكثير من الزبائن في البداية «لأن أسعار القطع التي كنت أصنعها كانت أعلى.. ذلك أبكاني كثيراً، لكني قلت لنفسي: إما أن أكون

مقلدة لغيري أو أكون المصممة التي سيبحث عنها الناس»، فمالت في النهاية إلى الخيار الثاني.

رأي زبونة

شازه أحمد، إحدى أقدم زبونات ميديا، تروي لحظة مؤثرة: «اشتريت منها عقداً من المرجان لأمي قبل وفاتها بسنة. كانت أمي مريضة ولم تكن تخرج كثيراً.. لكن في عيد نوروز، أصرت أن تلبس العقد وتزور العائلة».

وأضافت لـ«كوردستان بالعربي»: «هذا العقد فيه دفء أمي، بعد رحيلها احتفظت بالعقد كأثر مقدس. هذه ليست قطعة زينة، بل جزءاً من تاريخ عائلتنا».

المستقبل الطموح

اليوم، وبعد أن أنتجت ميديا ما يقرب من 15 ألف قطعة وشاركت في 250 معرضاً، تقف على أعتاب حلم جديد، «أريد مشغلاً كبيراً، ليس فقط لعرض أعمالي، بل لتعليم النساء الأخريات. هناك أرامل ومطلقات يبحثن عن مصدر دخل كريم. لماذا لا يكون صنع الحلي من التراث مصدر رزق لهن». ●

عندما لجأت مصممات أخريات إلى المواد الرخيصة وسريعة الإنتاج، تمسكت ميديا بالغالي والنادر، الأمر الذي جعلها تخسر الكثير من الزبائن في البداية

تربية النعام

استثمار واعد

تشهد محافظات كوردستان نمواً ملحوظاً في أعداد مزارع تربية حيوانات وطيور كانت غير مألوفة، بوصفها مشاريع استثمارية واعدة، كالنعام الذي يُستورد من أفريقيا .

ويلقى لحم النعام الغني بالفيتامينات والمعادن رواجاً جيداً، كما يقول الباعة، فيما تؤكد أستاذة جامعية أهميته لمرضى القلب وارتفاع ضغط الدم والسكري، فضلاً عن ارتفاع قيمته البروتينية مقارنة بلحوم الأبقار والأغنام.

الصورة: هيمن بابان رحيم

كاظم علي بين بعض نعاماته في المزرعة

مشروع استثماري واعد

بمجرد فتح باب مزرعة كاظم علي، المشيّدة على مساحة ألفي متر مربع، تفاجئك خطوات متسارعة لعشرات الطيور التي تُعد الأثقل وزناً والأطول قامة، إذ يفوق طول الواحدة منها طول الإنسان العادي. تنطلق في رحلة بحث عن الطعام وسط ثلوج تغطي المكان، فيما يتواصل المشهد بحركات أشبه بالرقص تعبيراً عن نشاطها وحيويتها، في لوحة غير مألوفة تجمع بين برودة الطبيعة وحرارة الحياة.

هذا المشهد يبدو غريباً على سكان قضاء چومان، الواقع على بُعد 160 كيلومتراً شمال شرق مدينة أربيل.

وتحديداً في قرية «وردة»، تقع مزرعة أسطة كاظم ـ كما يلقبه أهالي المنطقة ـ الذي بدأ مشروع تربية النعام كهواية بسيطة، قبل أن يتحول إلى مصدر رزق ثابت، ويطمح اليوم إلى تطويره وتوسيعه ليصبح مشروعاً استثمارياً متكاملاً يوفر فرص عمل ويعزز الإنتاج المحلي.

تبلورت فكرة إنشاء مزرعة لتربية النعام لدى علي قبل ثلاث سنوات عندما زار مزرعة في منطقة كلار، الواقعة جنوب محافظة السليمانية، والمعروفة بارتفاع درجات الحرارة خاصة في فصل الصيف. ورغم الاختلاف الكبير في درجات الحرارة بين منطقته وكلار، الأمر الذي جعله يتردد قليلاً، فإنه اتخذ قراره لاحقاً وباشر المشروع بتربية 100 نعامة.

يقول أسطة كاظم في حديث لمجلة «كوردستان بالعربي» إنه «إذا توفرت البيئة المناسبة يمكن تربية النعام في جميع مناطق كوردستان. وقد بدأت المشاريع تزداد، خاصة للنوع الأفريقي. أما النوع الأسترالي، فتربيته أصعب بسبب تحمله الأقل مقارنة بالأفريقي».

وزن ذكــور النعــام يتراوح غالبــاً بين 100 و140 كيلوغراماً.. بيـنما يتراوح وزن الإنـاث بين 90 و120 كيلوغراماً

النعام نوعٌ من الطيور الكبيرة التي لا تطير، ويتراوح طوله بين مترين وثلاثة أمتار، ويتميّز ببيضه الذي يُعد الأكبر حجماً من بين جميع الطيور، ويتغذى على الأعشاب والنباتات وبعض الحشرات والزواحف الصغيرة، كما تبتلع الحصى والرمل للمساعدة على طحن الطعام. وتمتاز بسرعة قد تصل إلى 70 كيلومتراً في الساعة، ما يجعلها أسرع الطيور على وجه الأرض.

وحسب أسطة كاظم، فإن وزن ذكور النعام يتراوح غالباً بين 100 و140 كيلوغراماً، بينما يتراوح وزن الإناث بين 90 و120 كيلوغراماً، وتضع الأنثى سنوياً عدداً من البيوض. أما سعره، يتابع كاظم: «فيبلغ للكيلوغرام الواحد من لحمه نحو 16 ألف دينار عراقي، وقد بدأ عدد من الجزارين وبعض المطاعم ببيعه وتقديمه مؤخراً».

وأشار أسطة كاظم إلى أن لحم النعام، الذي يمتاز بلونه الأحمر المشابه للحم الأبقار، «شهد إقبالاً واسعاً من المجتمع الكوردستاني والعراقي، خاصة خلال السنتين الماضيتين». ويرجع السبب في ذلك «لما يتمتع به لحم النعام من قيمة غذائية عالية، كونه قليل الدهون والكوليسترول وغنياً بالبروتين والفيتامينات، فضلاً عن انخفاض نسبة الدهون المشبعة فيه، ما يجعله خياراً صحياً آمناً للوقاية من أمراض القلب والأوعية الدموية».

ويطلب أسطة كاظم من السلطات المعنية تقديم مزيد من التسهيلات لدعم الاستثمار في مشاريع تربية النعام، مؤكداً أنها «يمكن أن تكون مصدراً أساسياً لإعالة آلاف العائلات، فضلاً عن إمكانية الاستفادة منها في الصناعات الغذائية لتوفير فرص عمل واسعة وتعزيز الدخل المحلي».

فوائد غذائية وصحية هائلة

عن الفوائد الغذائية والصحية للحوم النعام، تقول زيلة مصلح مجيد أستاذة الموارد الحيوانية في كلية العلوم الهندسية الزراعية بجامعة صلاح الدين - أربيل: «يمتاز لحم النعام بفوائده الغذائية الغنية بالفيتامينات والمعادن، ما جعله من أصح أنواع اللحوم الحمراء، كونه يحتوي على نسبة منخفضة من الدهون والكوليسترول، ويسهل هضمه مقارنة بلحوم الأبقار والأغنام. وهو من أجود أنواع اللحوم للأشخاص الذين يسعون إلى إنقاص الوزن، كما أنه مفيد جداً ومناسب لمرضى القلب والسكري وارتفاع ضغط الدم».

وأضافت الأستاذة زيلة مجيد لـ«كوردستان بالعربي» أن «نسبة البروتين في لحم النعام تتراوح بين 22 و24%، وهي نسبة أعلى من تلك الموجودة في لحوم الأغنام والأبقار والدجاج والأسماك، مع تقاربها من نسبة البروتين في بعض أنواع لحوم الدواجن».

أما بالنسبة للفيتامينات والمعادن، فتشير أستاذة الموارد الحيوانية إلى احتواء لحم النعام على الحديد المفيد في معالجة فقر الدم، والزنك المهم لتعزيز المناعة، إضافة إلى فيتاميني B12 وB6 الضروريين لصحة الأعصاب وتكوين الدم ودعم الطاقة. كما يحتوي على الفسفور والمغنيسيوم اللذين يسهمان في تعزيز صحة العظام والعضلات.

> **نسبة البروتين في لحم النعام تتراوح بين 22 و24%، وهي نسبة أعلى من تلك الموجودة في لحوم الأغنام والأبقار والدجاج والأسماك، مع تقاربها من نسبة البروتين في بعض أنواع لحوم الدواجن**

وأكدت مجيد، التي شجعت على «تربية النعام في كوردستان والعراق عموماً، كونها من المشاريع الناجحة خاصة في محافظات مثل أربيل والديوانية»، على أن «تربية النعام تتطلب الصبر والتحمل، إذ إن فرخ النعام يحتاج إلى فترة تتراوح بين سنة و18 شهراً حتى يصبح جاهزاً للبيع، خلافاً لتربية الدجاج التي تتطلب وقتاً وجهداً أقل».

ولمعرفة المزيد عن مدى استهلاك المواطنين للحم النعام، ارتأت المجلة أن يستطلع رأي أحد الجزارين المختصين ببيع لحم النعام في ناحية قَرَهَنجير التابعة لمحافظة كركوك، وهو حمرين بارزان الذي يؤكد الإقبال المتزايد على لحوم النعام، قائلاً: «أذبح أسبوعياً خمس نعامات وأبيع لحومها. ومن يتذوق لحم النعام يعاود شراءه مرات عديدة. نتلقى طلبات من مناطق مختلفة. ومع ازدهار الطلب على لحوم النعام، هناك أيضاً إقبال متزايد على لحوم الجمال أيضاً».

رسمياً، لم تسجل وزارة الزراعة والثروات المائية في إقليم كوردستان عدداً كبيراً من مشاريع تربية النعام. لكن، وبحسب بيانات غير رسمية، توجد في محافظات أربيل ودهوك والسليمانية وحلبجة نحو عشر مزارع متخصصة في هذا المجال. ●

حول الخط العربي والفنون الأخرى بين الكورد

مسعود لاوه

صحافي عمل في صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية لأكثر من 25 سنة ومدير تحرير «كوردستان بالعربي»

في أمسية ثقافية نظمها فرع أربيل لاتحاد الكتاب الكورد للخطاط الكردي الكبير السيد بزار كريم أربيلي، في 7 شباط / فبراير الحالي، بعنوان «الكورد وفن الخط»، تطرق الخطاط بزار، من ضمن ما تناوله في محاضرته، إلى أن الفنون التشكيلية الأخرى (كالرسم والنحت وغيرها) لم تتطور بنفس القدر الذي تطور فيه فن الخط لدى الكورد، إلا أنه لم يُقدم أي تحليل أو تفسير لهذه الظاهرة، وربما ضيق وقت المحاضرة منعه من عرض الأسباب، وإعطاء تفاصيل أخرى.

وقد عقّبت أنا بدوري بعد المحاضرة في عجالة على هذه الظاهرة وأبديت رأيي فيه. لكنني رأيت أنه من المفيد إعطاء مساحة أكبر لهذا الموضوع، وذلك بكتابة مقال تُذكر فيه تفاصيلُ أكثر وشرحٌ أوفى للظاهرة.

فالظاهرة التي تحدث عنها الفنان بزار، لا تقتصر على الكورد فقط، بل تنطبق مع جميع المسلمين مقارنة بأتباع الديانات الأخرى. وربما يعود السبب في هذا الأمر إلى الدافع الديني الذي التزم به المسلمون من حيث النظر إلى كثير من الأمور بنظر «التقديس» تارة و«التدنيس» تارة أخرى.

فـ«المقدس»، وهو القرآن الكريم الذي لا شك أنه نُزِّل بلسان عربي مبين على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فيُكتب بالخط العربي. لذا فقد حاول المسلمون أن يبذلوا قصارى جهدهم في كتابته وإظهاره للعلن بخط عربي جميل ومتناسق يجذب الأنظار والقلوب.

أما «المدنّس»، فيأتي من تحريم علماء السلف الأولين لفن الرسم والنحت احترازاً للوقوع في المحرمات. وذلك نتيجة للتفسير الحرفي والجامد لحديث «لعن الله المصورين» وأحاديث أخرى.. بينما فهمها علماء معاصرون وبعض المتقدمين في سياقه التاريخي، وقالوا إنما اللعن في هذا الحديث كان موجّهاً لمن يصنع الصور بقصد التعظيم والعبادة، وإن العلة ليست مجرد الرسم والنحت، بل اتخاذ الصور وسيلة للشرك. وذلك أن التحريم جاء في زمن كان الناس حديثي عهد بعبادة الأصنام، فكان المنع سدّاً للذريعة. وبما أن «الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً»، كما يقول الفقهاء والأصوليون، فإنه لا يوجد مبرر أو ضرورة لمنع وتحريم هذه الفنون.

وموقف العلماء المعاصرين هؤلاء، الذين يرون بجواز الرسم والتصوير والنحت، قريب من موقف معتنقي الديانة اليهودية الذين لا يحرّمون هذه الفنون إلا إذا كانت بقصد العبادة والتقديس. أما في المسيحية فالأمر مباح عندهم على الإطلاق، ويرون أنها مفيدة لتجسيد التعاليم الدينية وحياة المسيح والقديسين. إذ تجد الكنائس والأديرة مزدانة بتماثيل وصور للسيد المسيح عليه السلام وأمه مريم العذراء عليها السلام وبعض القديسين لديهم، بينما يفضل المسلمون أن يزّينوا مساجدهم وجوامعهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بخط جميل ومزخرف.

وهنا أودّ أن أذكر ظاهرة أخرى لاحظها كثيرون وتصب في هذا المجال. وهي أن علماء الدين الكورد غالباً ما كانوا يجوّدون في فن الخط العربي والزخرفة حتى أن بعضهم كتبوا كتبهم بخط جميل وأبدعوا فيه. بل إن بعض الشعراء من بين العلماء ذهبوا أكثر من ذلك بأن وظفوا هذا الفن في خدمة إبداعهم الفني الشعري. فترى الشاعر الكلاسيكي الكوردي الكبير «نالي»، مثلاً، يقول:

«لەبت میم و قەدت ئەلف و زولف چیم
دەزانــی بــەم ســیانە تالیبــی چیــم»

(شفتاكِ ميمٌ وقدُّكِ ألفٌ وسالفُ شعركِ چيم
أتعلمين ما أطلب بهذه الأحرف الثلاثة)

ومن الواضح وضوح الشمس للعيان أن نالي لا يروم بهذا البيت أن ينظّمَ حزورة شعرية، ليسعى المتلقي وراء فك شفراتها، لأنه يأتي ويكشف هذه الحزورة في البيت التالي مباشرة، ويقول:

«وەفای عەهدە لە من رۆح و لە تۆ ماچ
چییە چارەی ئەمانەت غەیری تەسلیم»

(فإنه لمن الوفاء بالعهد: مني روحي ومنكِ «ماچ» / قُبلةٌ وإلا فما مصير الأمانة غير تسليمها)

فيبدو أن شاعرنا الكبير من فرط حبه وإعجابه بأحرف الخط العربي الجميلة، يأتي ليوظفها ويستعيرها في تشبيه حبيبته بها. وهذه الظاهرة الأدبية البلاغية (أقصد بها تشبيه الحبيبة بأحرف من اللغة العربية) لم أصادف وجودها في الآداب الأخرى أو على الأقل في الأدب العربي، حسب علمي المتواضع. ●

بَدْر شاكِر السيَّاب وَنَوْرُوز

بَدْر شَاكِر السيَّاب، شاعر عراقي ولد عام 1926 في قرَية جيكُور بمحافظة البصرة جنوب العراق. يعد أحد مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي.

وأصيب السياب بمرض في ظهره يسبب له ألماً شديداً نُقل بسببه إلى بيروت وأدخل مستشفى الجامعة الأميركية هناك، لكنه عاد إلى البصرة وظل يعاني من الألم إلى حين وفاته عام 1964.

أما عيد نوروز الذي يوافق يوم 21 آذار من كل عام بالتوقيت الميلادي، فهو عيد الكورد القومي (وكثير من شعوب المنطقة أيضاً) ومعناه (اليوم الجديد). وحسب المرويات والأساطير الكوردية فإنه كان هناك ملك ظالم ومتجبر يُدعى الضحاك، وجراء مرض أصيب به، نبت على كتفيه ثعبانان يسببان له ألماً لا يُطاق. فوصف له الأطباء علاجاً متكوناً من مزيج لمخ شابين يطعم به الثعبانين لكي يستكينا. وكان جزار الملك رجلاً رحيماً يُطلق سراح أحد الشابين فيلجأ إلى الجبل، ويذبح شاة أو جدياً ليمزج مخه مع مخ الشاب الآخر. فاجتمع في الجبل جمع كبير من الشباب أشعلوا ثورة على الملك بقيادة كاوا الحداد الذي فقد كثيراً من أبنائه الشباب «قرباناً» للملك، فنزلوا من على الجبل منتفضين، وأطاحوا به وبحكمه الظالم. وأشعلوا نيراناً على قمم الجبال لكي يرسل الشعوب المجاورة من يتقصى لهم الأخبار، فيعلن المنتصرون لهم نهاية حكم الطاغية. ●

بخط الخطاط الكوردي بژار أربيلي

النورس الأرميني..

صراع على الغذاء في أنهار كوردستان

في الساعات الأولى من الصباح وعلى ضفاف نهر الزاب الكبير بالقرب من قرية جوبال في أطراف أربيل، رصد مشهد لافت لسرب من طيور النورس وهي تخطف الأسماك وتتقاتل عليها بعنف. إذ كانت تُمزق الأسماك بمناقيرها وتنشأ نزاعات حادة بين الطيور، وكل منها يتنافس على فريسته. وقد كانت فرصة توثيق هذا السلوك بعدسة الكاميرا من داخل السيارة، في لحظة نادرة تعكس الجانب التنافسي في طبيعة هذا الطائر.

التكاثر والانتشار

وبعد المقارنة والتحقق من العلامات الميدانية، تبين بأن الطائر هو النورس الأرميني (Larus armenicus)، وهو نوع متوسط إلى كبير الحجم من النوارس يتكاثر بصورة رئيسية حول بحيرة سيفان في أرمينيا وفي كوردستان، لا سيما على طول نهر الزاب الكبير وبحيرتي دوكان والموصل، فضلاً عن أجزاء من جورجيا وشرق تركيا وشمال غربي إيران. أما في فصل الشتاء، فيُشاهَد في كوردستان وحول شرق البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي، ويُفضّل البحيرات الكبيرة في موسم التكاثر، في حين يرتاد خارج موسم التكاثر المناطق الساحلية والخزانات والأنهار.

يتميز النورس الأرميني بظهر رمادي داكن ورأس وجسم أبيضَين. منقاره أصفر اللون يتوسطه شريط أسود واضح قرب نهايته، وهو ما يبدو جلياً على الطيور البالغة التي تكون أرجلها باللون الأصفر وعيونها فاتحة اللون. في حين تكتسي الطيور الصغيرة باللون البني، ويستغرق الأمر عدة سنوات حتى تبلغ مظهرها البالغ الكامل. وهذا النوع انتهازي في طعامه ويتغذى على مختلف المأكولات، مثل الأسماك والحشرات والحيوانات الصغيرة والبيض، إضافة إلى مخلفات وبقايا الطعام بالقرب من المناطق السكنية. ويتكاثر هذا النوع في مستعمرات تكون غالباً على الجزر الواقعة في البحيرات. ويعشش في حفرة أرضية مبطنة بالنباتات، وتضع الأنثى عادةً من بيضتين إلى ثلاث بيضات، ويتشارك الأبوان في حضانتها ورعاية الصغار بعد الفقس.

ووفق تصنيف الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة، يُدرج النورس الأرميني ضمن فئة «غير مهدد» (least con-cern). فرغم أن انخفاض منسوب المياه والإزعاج البشري قد يؤثر في مناطق تكاثره على بعض المجموعات المحلية، غير أن الاتجاه العام لأعداده يبقى مستقراً في مجمله.

وعلى مدى سنوات طويلة، كان النورس الأرميني يُعدّ من سلالة فرعية من النورس الأسود الظهر الصغير، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت كونها نوعاً مستقلاً بذاته نظراً للاختلافات اللافتة في المظهر والأصوات والمسافة الجغرافية الفاصلة بينهما.

يُجسّد هذا المشهد الطبيعي في كوردستان لوحة حية لتفاعل الحياة البرية مع مواردها، ويُبرز أهمية توثيق التنوع البيولوجي في أنهار إقليم كوردستان وبحيراتها، بوصفه جزءاً من الإرث البيئي الذي يستحق الرصد والحماية. ●

TOYOTA

LAND CRUISER PRADO

TOYOTA

LAND CRUISER PRADO

The New TOYOTA PRADO

Crafted for Heights Yet Unreached

حول العراق مع لكزس

إن أجواء العراق القاسية وتضاريسه المتنوعة، من شوارع المدن المزدحمة إلى المناطق الجبلية الوعرة مروراً بالصحاري الحارقة، تتطلّب سيارات تجمع بين الفخامة والمتانة والهندسة المتقدمة. وقد أثبتت لكزس من خلال سجلها الحافل بالأداء المتميز أنها الخيار المثالي للتنقل في هذه التضاريس المتنوعة والظروف القاسية، حيث تقدم أداءً استثنائياً وموثوقية عالية وأناقة لا مثيل لها.

بفضل أنظمة التبريد المتطورة والمواد عالية الجودة التي تُستخدم في تصنيعها، تتميّز سيارات لكزس بقدرتها على تحمل درجات الحرارة العالية والمناخات المتقلبة في العراق دون التأثير على الأداء. مما يمنحها قدرة استثنائية على الطرق الوعرة، وخاصة في الموديلات مثل الـ LX، إضافة إلى قدرتها على التعامل مع التضاريس الجبلية والطرق الصحراوية غير المعبدة بكل سهولة، وذلك بفضل أنظمة التعليق المتينة والتقنيات الحديثة المخصصة للقيادة على الطرق الوعرة.

تتميّز سيارات لكزس أيضاً بكفاءة استهلاك الوقود وطول عمرها الافتراضي، مما يجعلها مناسبة للاستخدام في شوارع المدينة المزدحمة والرحلات الطويلة على الطرق السريعة. وقد تمّ اخضاعها لاختبارات في ظروف قاسية، لضمان موثوقيتها وأدائها في أصعب الظروف.

وتعزيزاً لريادتها التكنولوجية، تقدم لكزس تقنية السيارات الهجينة الكهربائية، حيث تجمع بين محرك البنزين المتطور والمحرك الكهربائي عالي الكفاءة. هذه التقنية المبتكرة لا تقدم فقط أداءً سلساً واستثنائياً، بل تساهم أيضاً في تقليل استهلاك الوقود وخفض الانبعاثات الضارة، مما يجعلها الخيار الأمثل لمستقبل أكثر استدامة.

السلامة والراحة هما من أولويات تصميم سيارات لكزس، حيث تأتي مزوّدة بنظام لكزس للسلامة، وتقنيات المساعدة المتقدمة للسائق، وذلك لغرض توفير الحماية المثلى في جميع الظروف.

مع قدرتها على التكيُّف مع البيئات المختلفة، وقوتها، وفخامتها، تظل لكزس الخيار الموثوق للسائقين في جميع أنحاء العراق. سواء كنتم في بغداد، أربيل، السليمانية، أو في أي من مدننا الأخرى، تقدم لكم لكزس تجربة قيادة فريدة تجمع بين الأداء الاستثنائي والأناقة التي يتوقعها الجميع من علامة تجارية عالمية مرموقة.

لكزس أربيل: شارع بيرمام، كراند ماجدي لكزس بغداد: السيدية، قرب شارع الخيزران، شارع الحلة

6996 info@lexus.iq

LEXUS
EXPERIENCE AMAZING

حَيثُ تَلتَقِي الفَخَامةُ بالأَدَاءِ

لكزس أربيل: شارع بيرمام، كراند ماجدي
لكزس بغداد: السيدية، قرب شارع الخيزران، شارع الحلة
6996
info@lexus.iq

KAVIN GROUP
PLAN . COMMITMENT . SUCCESS

خطة الالتزام بنجاح

المشاريع الجارية	5+
الآلات	410+
النمو السنوي	%24
الطاقة البشرية	2,000+

اتصل بنا

info@kavin-group.com
+9647504087779
Badirkhaniya Road, Se Gerka Qtr.
Dohuk, kurdistan Region of Iraq